جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

آيـــــات
النفخ في الصـــور
دراسة موضوعية

الدكتور
إبراهيم عباس سلمان عبد الرحمن
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر ـ فرع أسيوط

العدد السابع عشر
للعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٩٤٠/ ٢٠١٣م

الترقيم الدولى : ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله عرّف الخلق بالحق، وجعل القرآن الكريم هو الدليل الذي مـــن خلاله عرفوا ما لله تعالى من صفات الجلال، والجمال، والكمال، والإكـــرام، قـــال تعـــالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(١). وقـــال ســـبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل القرآن الكريم يختـــرق حُجُب الغيب كلها، متحدثا عن الزمان بأنواعه المختلفة على ســـبيل العبـــارة أو الإشارة(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

(٢) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٣) أنواع الزمان أربعة: (١) **الزمان المقدر** في علم الله الأزلي المستدل عليـــه بقولـــه تعـــالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [سورة المعارج: الآيـــة (٤)]، (٢) **الزمان الفلكي:** وهو المصاحب لخلق الكون وينقسم إلى سنوات، وشهور، وأيام، وساعات، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَـــقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة التوبة: الآية (٣٦)]، (٣) **الزمان البيولوجي:** وهو المتعلق بالخلية الإحيائية، ويقدر بها عمر الإنسان في مراتبه المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَـــعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَـــدِيرُ﴾ [ســـورة الـــروم: الآية(٥٤)]، (٤) **الزمان المعرفي:** وهو الذي يدل على كمية المعارف الموجودة فـــي عقـــل الفرد الواعي دون نظر إلى سِنِّه، وهي المشار إليها بقول رسول الله ﷺ :(من يـــرد الله بـــه خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب مـــن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.ج١ ص ٤٢. حديث (٧١) ،الجامع الصحيح المســـند مـــن أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، وآخرون، المطبعة السلفية، بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ. "وراجـــع للباحثة سمر عبدالفتاح، "الزمان المقدر في علم الله الأزلي بين المثبتين والنافين"، ص٨١ وما بعدها، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة،١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤م.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدالله ورسوله، أخبره الله من الغيوب ما أنبأ به في الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾[٤].

اللهم صلي وسلم وبارك عليه، وعلى آله الأطهار، وأصـحابه النجـوم الزواهر الأخيار، والعلماء العاملين بكتاب الله وسُنة المختار، وأكرمنا بشـفاعته يوم ينفخ في الصور، فلا مجير، ولا مُجار إلا مَنْ بالواحد القهار استجار، وارضى اللهم عن العلماء العاملين الذين خدموا دين رب العالمين، واسـتنارت عقـولهم بالكتاب المبين، وانتفعوا بهدي المصطفى الأمـين، وصـاروا العَلاَمـة المميـزة للباحثين المنصفين.

أما بعد ،،،

فإن السمعيات[٥] التي وردت بها النصوص الشرعية تأخذ بالعقـل الـواعي حتى يتأمل مواضعها، ويعمل على تفهم أسرارها، ويحلل ما يأتي في مفرداتها، ثم

---

(٤) سورة الجن: الآيات (٢٦ــ ٢٨).

(٥) السمعيات: ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقـل فـي إثباتها أو نفيها مدخل كأشراط الساعة وتفاصيل البعث، راجع للإمام أبو حامـد الغزالـي ــ قواعد العقائد ،ص ٢١٧، تحقيق: موسى محمد علي، ط: عالم الكتب ــ لبنان،الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.، وقد ذكر الإمام الفخر الرازى أن سمعيات اليوم الآخر علـى ثلاثـة أقسام: **أحدها:** الأحوال التي توجد عند قيام القيامة، وتلك العلامات منها صغيرة،ومنها كبيرة، **وثانيها:** الأحوال التي توجد عند قيام القيامة، وهي كيفية النفخ في الصور، وموت الخلائق، وتخريب السماوات والكواكب، وموت الروحانيين والجسمانيين.، **وثالثها:** الأحوال التي توجد بعد قيام القيامة وشرح أحوال أهل الموقف، وهي كثيرة يدخل فيها كيفيـة وقـوف الخلـق، وكيفية الأحوال التي يشاهدونها، وكيفية حضور الملائكة والأنبياء علـيهم السـلام، وكيفيـة الحساب، وكيفية وزن الأعمال، ...، وذكر أنَّ مجموع هذه المسائل العقليـة والنقليـة يبلـغ الألوف من المسائل، وهي بأسرها داخلة تحت قوله:﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[سـورة الفاتحـة:=

يأخذ بين تلك الدلائل وإشاراتها، فإذا وجد أمرًا يَخدم العقيدة سَعى لـــه، أو يعمـــل على تطبيق الأحكام الشرعية انتصب له، وتمسك به، أما إذا رآه متجهًـــا ناحيـــة القيم الأخلاقية الراقية، والآداب العامة، فإنه يجد من داخله ميلاً لتحقيقها.

ولما كانت آيات القرآن الكريم قد نَبهت إلى السمعيات، وأنها جزء من الغيبيات، فقد بات من الضروري على من يخدم القرآن الكريم الالتفات إليها، وتحليل غواديها، ثم الإمساك بثمراتها حتى تكون دانية لمن يسعى لها(٦)، كما نبَّهَت على السمعيات، واستطاع المفكر المسلم أن يرى منها ما يتعلق بصفات الله، إذ هي أمور سمعية وردت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،على ناحية الإجمال في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(٧)، وعلى سبيل التفصيل في آيات، منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ

=الآية(٤)]".مفاتيح الغيب، ج١ص ٢٥، ط: دار إحياء التراث العربي، بيـــروت ، الطبعـــة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٦) الآيات القرآنية تناولت الغيبيات على وجه العموم في آيات كثيرة منها قوله تعـــالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[سورة الرعد: الآية (٩)]، وقوله تعالى:﴿ عَـــالِمُ الْغَيْـــبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[سورة التغابن:الآية(١٨)] ،وقوله جل جلاله:﴿ قُـــلِ اللَّهُـــمَّ فَـــاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُـــمُ بَـــيْنَ عِبَـــادِكَ فِـــي مَـــا كَـــانُوا فِيـــهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[سورة الزمر:الآية(٤٦)] فهي قرَنت بين عالمين كل منهما منفصل عـــن الآخـــر، وبيَّنَت أن علمهما مقصور في الحقيقة على الخالق جل علاه، فهو الكبير المتعال.

(٧) سورة الأعراف: الآية (٨٠).

ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾(٨).

وبعضها وردت الإشارة إليه في الحديث الشريف على سبيل السرد، منها ما رواه البخارى ــ بسنده عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه: أن رســول الله ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة)(٩).

ومن السمعيات التي جاء النقل بها(النفخ في الصور)، إذ ورد عدة مرات في الآيات القرآنية(١٠)، وهذا مما يحتاج دراسة مستقلة تُعَرِّف به، وتَذْكر ما يتعلق بمضمونه، ثم الغايات ذات الطبيعة الاستهدافية، حتى يكون المرء الواعي علـــى بينة من أن الكون الذي يعيش فيه، له بداية، وله أيضًا نهاية، وصاحب البداية هو الله، الذي بعث سيدنا محمد ﷺ للإنس والجن رحمة مهداة، وهو الذي أنزل القرآن من تمسك به اعتصم بالله وللطريق المستقيم هداه.

غير أني لما كنت أتابع النظر في الآيات القرآنيـــة، فقـــد وقفـــت علـــى موضوع رأيت أنه يجذبني إليه، ولا أستطيع المقاومة. كيف لا؟ وهو متعلق بمبدأ الكون ونهايته. كيف لا؟ والإنسان في حياته ومماتـــه مـــرتبط بـــه وبكينونتـــه،

---

(٨) سورة الحشر: الآيات (٢٢ــ٢٤).

(٩) أخرجه البخاري فى صحيحه ــ كتاب التوحيدــ باب إن لله مائة اسم إلا واحـــدا ، صـــحيح البخاري، ج ٤، ص ١٧٤ حديث (٦٤١٠). وراجع للعلامة أبو حامد الغزالـــي الطوســـي، المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، ص١٢٠. تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي ط: الجفان والجابي، قبرص ط الأولى، ١٤٠٧هـ ــ١٩٨٧م، وللإمام القرطبى ــ الأســـنى فـــى شرح أسماء الله الحسنى ــ تحقيق أ.د محمد حسن جبل، ط دار الصحابة مصر. ط الأولـــى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م.،وللإمام الرازي، "لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات تحقيق ،محمد بدر الدين النعسانى،المطبعة الشرقية بمصر،الطبعة الأولى١٣٢٣ه.، وللإمـــام: أبـــو إسحاق الزجاج ــ تفسير أسماء الله الحسنى ــ تحقيق: أحمد يوسف الدقاق ،ط: دار الثقافـــة العربية، وراجع للدكتورــ أحمد مختار عمرــ أسماء الله الحسنى دراسة فى البنية والدلالةــ ط عالم الكتب مصر ــ الطبعة الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(١٠) ورد ذكر الصُوُر بلفظه في القرآن الكريم حوالي (عشر مرات) راجع للأستاذ محمد فـــؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (باب الصـــاد) ص٤١٦، ط دار الحـــديث القاهرة، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

وبخاصة أن السُنّة المطهرة قد دلت على أن الله تعـالى لمـا خلـق السـماوات والأرض وخلق الصُوُر، ألقَمَه إسرافيل فصار ينتظر حتى يَنفخ فيه، ومـن ثـم لا يبقى للكون أثر(١١).

أجل إن هذا البحث لم يتم في وقفة أو وقفات محددة، وإنمـا اسـتغرق العديد من التأملات، وقَطَعْت معه الكثير من الخطوات، ومـن ثـم اسـتخرت الله تعالى، فكان هذا البحث تحت عنوان: (آيات النفخ في الصور دراسة موضوعية)، وذلك لما يلي:

أولاً ـ أسباب اختيار الموضوع(١٢):

١ـ أن النفخ في الصور يَرِد في العديد من الدراسات الإسلامية على أنه من قسم العقيدة، بينما هو في الأصل نص قرآني، فإذا تم تناوله من جانب المفسـر، والباحث في علوم القرآن الكريم كان ذلك من صميم عمله، ومن ثم فالاتفاق في العنوان ليس معناه اتفاق في الموضوع، وطريقة العرض، والتناول، ومن يعمل في التفسير يختلف منهجه عمن يعمل في غيره.

٢ـ أن النفخ في الصور تناولَه المحدِّثون، وبخاصة أن أحاديث كثيـرة ذَكـرت النفخ، وجاءت ظواهر بعضها، فيها إشارة إلى الحصر، ما بين النخفتين، وقد يزيد(١٣)، فكان من الضروري القيام بدراسة تأصـيلية مـن خـلال الآيـات القرآنية.

---

(١١) فى الحديث عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال:قال رسـول الله ﷺ: (كيـف أنعـم وصاحب القرن قد التقم القرن وحَنى جبهته، وأصغى السمع متى يؤمر، قال: فسـمع ذلـك أصحاب رسول الله ﷺ فشق عليهم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: حسـبنا الله ونعـم الوكيـل) أخرجه أحمد فى مسنده، ج ٣٢ ص٩١، حديث (١٩٣٤٤) قال الشيخ أحمد شـاكر، حـديث صحيح، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط: دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ــ١٩٩٥م.

(١٢) السبب من ناحية اللغة اسم لما يُتوصل به إلى المقصود ، أما في الشريعة فهو عبارة عمـا يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، انظر: للسيد الشريف الجرجاني، التعريفات (باب السين)، ص١٠٣.

(١٣) ترجم أصحاب كتب السنة للنفخ فى الصور فى أكثر من موضع ، فقد جعل الإمام البخارى النفخ فى الصور بابا مستقلا فى صحيحه ،كما ذكره فى كتاب تفسير القرآن ، ومـن ذلـك مارواه عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريـرة=

٣ــ أن النفخ في الصور ورد داخل الألفاظ القرآنية مرتبطًا بأحداث معينة يوصف بها، أو يسمى بها فنفخة الصعق غير نفخة القيام مع ورودهما فـــي الآيـــة الواحدة(١٤).

٤ــ أن النفخ في الصور فيه إشارة إلى بلاغة القرآن وإعجازه، إذ يتحدث عـــن مسائل غيبية تبدوا مظاهرها في حياة الناس، وتؤثر على الناحية الســـلوكية حتى يكون المرء على استعداد بلقاء رب البرية.

٥ــ أن النفخ في الصور يَرُد دعاوى الملحدين(١٥) الذين زعموا وجـــود الحيـــاة بالطبيعة، وقالوا ما حكاه القرآن عنهم، وترتب عليه إنكارهم للبعث(١٦)، فما

=أربعون يوما، قال: أبَيت، قال: أربعون سنة، قال: أبَيت، قال: أربعون شهرا، قال: «أبيـــت ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عَجَب ذنَبِه، فيه يُركَّب الخلق» كتاب تفسير القرآن ــ بـــاب قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[سورة الزمر :الآية(٦٨)] صحيح البخارى ج٣ص ٢٨٥ حديث(٤٨١٤)، ومنهم من أورده فى كتاب الفتن وأشراط الساعة كالإمام مسلم في صحيحه ، فقد أخرج هذا الحديث فى ــ باب ما بين النفختين ،ج ٤ص ٢٢٧٠، حديث رقـــم(٢٩٥٥). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام: مسلم بن الحجـــاج أبو الحسن القشيري ــ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،ط:دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(١٤) من ذلك قوله تعـــالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[سورة الزمر: الآية (٦٨)].

(١٥) الإلحاد العدول عَن الْحق وَإِدْخال ماليس منه فيه،والإلحاد الطعن فِـــي الـــدّين ــ والملحـــد الطاعن فى الدين المائل عنه. أنظر المعجم الوسيط ــ إبراهيم مصطفى، وآخرون ــ بـــاب (اللام) ج٢ص٨١٧. مجمع اللغة العربية بالقـــاهرة ــ ط: المكتبـــة الإســـلامية ــ تركيـــا.، والإلحاد يُخرج المرء من دائرة قبول الحق إلى طبيعة المعارضة فيه، والجدل بشأنه، بغض النظر عن موضوع الجدل الذي تردى فيه، أضف إلى ما سبق أن الإلحـــاد يـــدفع الإنســـان للتخلي عن التكاليف وربما دعا إلى إسقاطها تحت شبهات كاذبة، وأوهام خاطئة. وقد بين الله ــ عز وجل ــ ذلك بيانا شافيا بل وتوعد القائمين به فقال جل شأنه:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سورة فصلت: الآية (٤٠)]. للمزيد راجع للإمام الشـــيخ ،محمـــد الخضر حسين ــ الإلحاد أسبابه وعلاجه ــ ط مكتبـــة ابـــن تيميـــة ــ الكويـــت، الطبعـــة الأولى١٤٠٦ه ــ١٩٨٦م.

(١٦) حكى القرآن الكـــريم قـــولهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[سورة الجاثية: الآية (٢٤)]، وعُـــرف هؤلاء لدي الدارســـين=

دام الكون سيتم هدمه عن طريق النفخ في الصور، فقد بان فساد قول أولئك الملحدين أيًا كانت تصنيفاتهم أو تسمياتهم.

٦ــ أن النفخ في الصور جاء في مواضع متعددة من القرآن الكريم تحتاج إلـــى دراسة قرآنية تبين موقع كل واحدة منها، وتكشف طبيعة الإعجاز القرآنـــي فيها، وهو دور يجب متابعته على النواحي التـــي تـــتمكن منهـــا المَلَكـــات، وتنضبط بها الآلات(١٧).

٧ــ أن الباحث فى القرآن الكريم متى استطاع توظيف فَهْمه لصورة النفخ التـــي وردت في الآيات القرآنية، فإنه يعيد للإنسان الواعي سلوكه علـــى الناحيـــة الإيجابية نظرًا لما قد يعانيه إن خالف ما جاء من رب البرية.

=باســـم الدَهْريين الذين قالوا :"إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يُهلكنـــا إلا الـــدهر"، انظر: الملل والنحل ــ للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرســـتاني ــ ج٢ص ٩٧ ط: مؤسسة الحلبي ، وراجع للإمام ابن حزم ــ الفصل فـــي الملـــل والأهـــواء والنحـــل ــ ج١ص١٥ــ ط ،مكتبة الخانجي ــ القاهرة.،وراجع للشيخ ــ جمال الدين الأفغانى ــ الـــرد على الدهريين ــ تحقيق: محمد حامد محمد .وراجع للدكتور ــ إبراهيم عبـــاس ســـلمان ــ البعث فى القرآن الكريم تأصيل وتقسيم ــ بحث منشور ــ مجلة كلية أصول الدين والـــدعوة ــ جامعة الأزهر فرع أسيوط ــ العدد الثلاثون ــ١٤٣٣ه ــ٢٠١٢م.

(١٧) **المَلَكة:** هي النور الرباني الذي يوجد أصله في المخ كالعقل، وتطلق على الصفة الراسخة في النفس أو الاستعداد العقلي الخاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة مثل الملكة العددية والملكة اللغوية .راجع المعجم الوسيط ــ(باب الميم) ص٨٨٦، **أما الآلة:** فهي التي تَظهر مع الشكل الخارجي في جسم الإنسان كاليد والعين، والرجْل فإنها آلات ولا تعمل إلا إذا سَلِمت لها الملكات. ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم تبين ذلك منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية (٤٦)]، ومحل الشاهد أن يتوقف عمل المَلَكـــة، فـــلا تعمل الآلة في كلٍ مما ذكر، فالأعمى عيناه مفتوحتان غالبًا، وربما كانت من ناحية الشـــكل أجمل، إلا أن المَلَكة التي تغذيها في المخ معطلة، وكذلك الحال في كل مِن السمع، والـــذوق والشم، حيث إنها تعتمد كلها على مستقبلات عصبية مردها إلى سلامة المَلَكة أو عدم سلامتها في العمل. لمزيد من التفصيل .راجع لمايكل هاينز ــ القوى العقلية "الحـــواس الخمـــس" ــ ترجمة الدكتور ــ عبد الرحمن الطيب ــ ط الأهلية للنشر ــ الأردن ــ الطبعة الأولـــى ــ ٢٠٠٩م، وراجع للدكتور ــ محمد كمال عبد العزيز ــ إعجاز القرآن فى حواس الإنسان ــ ط مكتبة القرآن ــ القاهرة ــ وراجع للدكتور ، محمد عثمان نجاتى ــ القرآن وعلم الـــنفس ــ ص١٢٣ وما بعدها ــ ط دار الشروق ــ القاهرة الطبعة السابعة١٤٢١هـــ٢٠٠١م.وراجع للأستاذ ــ معروف زريق ــ علم النفس الإسلامي ــ ص٦٧ وما بعـــدها ،ط دار المعرفـــة، دمشق الطبعة الأولى١٤٠٨هـ ــ١٩٨٩م.

٨ــ أن هذا الموضوع، لم تتم دراسته على ناحية قرآنية ــ حسْب ما وقفت عليه ــ وبالتالي فإن القيام بتلك الدراسة يمثل جهدًا علميًا يجب التزامه والحرص عليه.

ثانيًا ـ منهجي في الدراســـة:

لما كان المنهج هو الطريق الذي يسلكه الباحث من المقدمات وصولاً إلى النتائج، ويتمثل فيه العمل الجوهري، من حيث الفحص في المقدمات، والنظر في المترتبات، وتحليل هذه وتركيب تلك، فقد تعددت المناهج من ناحيـــة التصـــنيف، والتوصيف أيضًا(١٨).

أما التوصيف فهو المتعلق بعرض جزئيات المنهج الواحدة، تلو الأخرى مع ملاحظة ارتباط العنوان بالموضوع، فالمنهج المقارن مـــثلاً لابـــد أن تكـــون المقارنة جزءًا بارزًا فيه، ومنهج الحصر مثلاً يجب أن تكون العمليات الواردة فيه لا تقبل الزيادة عليها طبقًا لقانون الحصر(١٩).

أما المنهج الذي سأتعامل معه في هذه الدراسة فهو القائم علـــى جمـــع الأطراف التي تحقق الغايات المرتبطة بها، ويطلق عليه اسم المنهج التكاملي من حيث أنه لا يرتبط بواحد من المناهج، وإنما يكون حرًا، الباحث المتعامل معه يأخذ لكل جزء من جزئيات بحثه المنهج الذي يتناسب معها مـــن الناحيـــة الدراســـية وبخاصة أن الموضوع متعلق بجانب سمعي ورد به النقل المنزل وارتبط بالغيـــب ارتباط الجزء بالكل.

ثالثًا ـ مشْـــكَلات الدراسة:

---

(١٨) التصنيف: وضع كل مجموعة من المناهج التي تتفق مع بعضها في تصنيف بذاته، فنقـــول هذه مناهج نظرية، وتلك مناهج تجريبية إلى غير ذلك من التصنيفات، وقد أكثر العلماء مـــن ذكرها. راجع على سبيل المثال للدكتور محمود قاسم، المنطق الحديث ومنـــاهج البحـــث، ط مكتبة الأنجلو،الطبعة الثانية ــ ١٩٧١م.

(١٩) راجع لإدوارد بونت، المناهج وطرق التدريس: دراسة تصنيفية، ص٣٧ــــ٤١، ترجمـــة هاني يوسف رزق، ط٢، ١٩٨٢م، مكتبة فوزي. وراجع للدكتورــ محمـــد علـــي ســـلطان، مناهج البحث العلمي في القرن العشرين، ص٣٨، ٣٩، مكتبة حسن رزق بالقاهرة ١٩٩٨م.

كل دراسة تتم تواجه العديد من الإشكاليات التي تعمل على تقديم حلـــول لها على ناحية يُعتقد أنها الأنسب بشأنها[٢٠]. وبالنظر إلى النفخ في الصور الوارد في القرآن الكريم، نجد أن هناك العديد من المشكَلات، من أبرزها:

١ــ إشكالية استعمال المصطلح: وهو وجود العديد من الاختلافات في تصنيف النفخات، وسَعْى البعض إلى إصدار ما يرونه من آراء كأنها أحكام قطعية من خالفهم فيها اتهم بالخروج على النصوص الشرعية، وهو من باب التحكمات التي تُوسِّع دائرة الشقاق بين المسلمين إلى حد بعيد، والله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢١]،بينما هذا التحكم يؤدي إلى الافتراق.

٢ــ إشكالية تحديد المنهج: وهو أن من تناولوا مسألة النفخ في الصور، ابتعـد الكثيرون منهم عن النصوص القرآنية، وفي ذات الوقـت لـم تظهـر فـي

---

(٢٠) المُشْكَلة بالفتح اسم مفعول وتأتي مصدرًا ميمياً، ويراد بها الأمر المخـتلط فـي أجزائـه، ويعمل الباحث على بيانها، والخروج من مختلطاتها، أما المشكِلة بكسر الشين فهـي العَقَبـة التي لا حل لها ،والمعضلة التي لا يُهتَدى لوجهها. راجـع المعجـم الوسـيط ــ ص ٦٠٧، ومهما أكثر الباحثون من تناولها فإنها تزداد تعقيدًا من حيث إنها الموصوفة بذات الوصـف، فهي الفاعل وهي المشكِلة في حد ذاتها. راجع لموراي ــ جورج شيفر، المنـاهج البحثيـة والمشكلات المعاصرة، ص٨٥، ٨٦، ترجمة وفاء صبري، ط أولـى، مؤسسـة فـرانكلين ١٩٧١م.

(٢١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

مؤلفاتهم عمليتا التتابع، والوحدة العضوية[٢٢]، وهما من سمات الإعجاز في القرآن الكريم، وإنما اعتمدوا على أقوال بدت فيها النزعة الفكرية ربما التي لم تقم على الصحيح من القواعد المنهجية.

٣ــ إشكالية الموضوع: ذلك أن الحديث عن النفخ في الصور تعددت جوانبه، تارة يأتي اسم النفخ على صورة المَبني لغير المعلوم، كقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[٢٣] وأحيانًا يجيء في صورة الفعل المضارع[٢٤]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ

(٢٢) الوحدة العضوية اصطلاح نقدى حديث معناه:أن تشتمل القصيدة على وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، ووحدة التصوير الفني بحيث تتماسك أجزاء القصيدة ويكون لكل جزء وظيفته فيها. وقد تلمسها الباقلاني في أجزاء السورة الواحدة حتى تظهر كأنها خَلق متكامل يمسك بعضه برقاب بعض.. فهو من أوائل من عنوا بإبراز هذه الوحدة في الصورة الفنية، على النحو الذي تناول به سور القرآن حيث بيَّن ترابط أجزائها، ترابطا يتضح فيه اتصال اللاحق بالسابق، واستدعاء آياتها بعضها بعضا، بحيث يدخل عليها الخلل إذا غُيرت عن مواضعها بتقديم أو تأخير، أو إسقاط لبعض عباراتها..راجع للإمام الباقلانى ــ إعجاز القرآن ص ١٠: ١٨. تحقيق ،السيد أحمد صقر ــ ط دار المعارف بمصر. ، وفي العصر الحديث ظهرت دراسات مستفيضة تركز على هذا اللون من التناسب والترابط بين آيات الذكر الحكيم، انطلاقا من وجهة نظر بيانية وفنية في المقام الأول. راجع للدكتور. عادل محمد أبو العلا ــ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ص٤٨ ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد١٢٩، السنة ٣٧، ١٤٢٥هـ. وراجع للدكتور. درويش الجندي النّظم القرآني فِي كشاف الزَّمَخْشَرِيّ، دَار نهضة مصر، ١٩٦٩م، ص٢٢١، ٢٢٢، وللدكتور. عبدالرؤوف مخلوف ــ الباقلاني وكتابه إعجاز الْقُرْآن. دراسة تحليلية نقدية، ص٤٣٧، ٤٣٨. مكتبة الْحَيَاة ــ بيروت.

(٢٣) سورة الكهف: الآية (٩٩).

(٢٤) ورد النفخ فى الصور على صيغة المضارع أربع مرات فى القرآن الكريم . منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[سورة طه:الآية(١٠٢)]،وقوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [سورة النبأ:الآية(١٨).

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢٥] أو الماضي المراد به الاستقبال وليس الماضي أو الحال. لجانب إعجازي وسائغ استعماله في العديد من الآيات القرآنية، وسُمي التعبير بالماضي ليدل على المستقبل كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢٦]، وهذا الاختلاف في الموضوع من ناحية اللغة المنطوقة أدى إلى الاختلاف في طريقة الاستدلال؛ ولما كانت الألفاظ أعراضًا سيالة [٢٧] تنتهي بمجرد النطق بها، فإن المتداول من الألفاظ القرآنية تبقى رسومها في القلب، وأشكالها في العقل، ودلائلها في الوعي من حيث إنها كلمات قرآنية، وتنزلات ربانية، وفيها رحمات إلهية.

٤ــ إشكالية الاتفاق في الهدف: كثيرٌ ممن تحدثوا عن النفخ في الصور اختلفوا في الهدف الذي يوردون الحديث عنه لتحقيقه، ومتى انفرط عقد الجوهر لم توجد له قيمة، إنما ستصير حباته مهملات عند انفراطها إذ قيمتها في اجتماعها لا في انفراطها، وكلما اتفقت كلمة المسلمين على جانب سواء تحققت النتائج العليا وهو مما تهدف تلك الدراسة إلى تحصيله.

رابعًا ــ مجمل مكونات الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من:

مقدمة: تتضمن أولاً: أسباب اختيار الموضوع، ثانيًا: منهج الدراسة، ثالثًا: مشْكَلات الدراسة، رابعًا: مجمل مكونات الدراسة.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم:

---

(٢٥) سورة الأنعام: الآية (٧٣).

(٢٦) سورة النحل: الآية (١).

(٢٧)العرَض:هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، والأعراض على نوعين: قارُ الذات، وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالبياض والسواد، وغير قار الذات، وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالحركة والسكون. الإمام الجرجانى، التعريفات، ص ١٤٨، تحقيق: جماعة من العلماء ــ ط: دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م.

١ــ الغيبيات.

٢ــ السمعيات.

٣ــ النفخ.

٤ــ الصور.

الفصل الثاني: نفخ انتهاء الكون الدنيوي:

أولاً ـ نفخة الاستعداد للهدم.

ثانيًا ـ نفخة الهدم الكلي.

ثالثًا ـ معالم هدم الأساسيات.

الفصل الثالث: نفخ في الحياة البرزخية:

أولاً ـ نفخة الفزع.

ثانيًا ـ نفخة الصعق.

ثالثا: نفخة الاستعداد للخروج.

الفصل الرابع ـ النفخ للحياة الأخـرى:

أولاً ـ نفخة الجمع الإحصائي.

ثانيًا ـ نفخة السَوْق للحشر.

ثالثًا ـ نفخة الحشر.

رابعًا ـ نفخة الحساب.

الخاتمة: وتشمل على:

أولاً ـ أهم النتائج.

ثانيًا ـ أهم التوصيات.

ثالثًا ـ المقترحات.

جملة المصادر.

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول
تحـــديد المفـــاهيم

من البَيِّن أن اللغة حمالة أوجه، والألفاظ ذات دلالات، ولابد من تحديد المفهوم المراد استعماله، بحيث يكون المقتصد في الدراسة على علم بالخطوات الأولى، كما يكون قد وعى البدايات التي ينهض فيها ، وبخاصة أن تحديد المفاهيم قد جاءت إليه العديد من الإشارات القرآنية حتى صار ذلك من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[٢٨]، حيث حَددت الآياتُ الإنسانَ ما هو من ناحية المبتدأ والمنتَهى، على وجه دقيق[٢٩].

---

(٢٨) سورة الطارق: الآيتان (٥، ٧).

(٢٩) حتى قالوا في وصف الإنسان: ما هو إلا نطفة مَذرة، وجيفة قذرة، والمؤمن بين أذان وإقامة ،والأذان الأول هو الذي يكون له عند مولده حيث يُؤذَّن في يُمناه، ويُقام في يسراه، أما الإقامة التي نقصدها فهي التي تكون عند صلاة الجنازة عليه، فهو بين أذان عند مولده، وإقامة عند رحيله. يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[سورة المرسلات:الآية(٢٠)] قال الإمام السيوطى:"وفيه إشارة إلى الاعتبار بهذه الخلقة من نطفة مذرة، ويحمل في جوفه العذرة، ويرجع جيفة قذرة، فيعرف نفسه، وينزلها منزلتها من الضعف والافتقار، ويدع العزةَ والاستكبار" معترك الأقران في إعجاز القرآن.ج٢ص ٤٠٤، ،وكان الحسن البصرى كثيرا ما يقول في كلامه: يا ابن آدم، نطفة بالأمس وجيفة غدا والبلى فيما بين ذلك يمسح جبينك، كأن الأمر يُعني به غيرك. راجع للإمام البيهقى ــ الزهد الكبير

ولما كان تحديد المصطلح يمثل جانبًا منهجيًا، فـإن تناولـه ضـرورة معرفية، وإذا كان الإخبار بالغيب من وجوه إعجاز القرآن الكريم، كما ذهب إليـه العلماء، فإن القاضي الباقلاني[٣٠] يشير إلى أن أحد هذه الوجوه هو الإخبار عـن الغيب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه[٣١].

ومن ثم فإن تحديد المفاهيم ضرورة علمية منهجية، وسـوف أتنـاول مفردات العنوان على هذا الجانب وفاءً بالمنهج.

أولاً ـ الغيبيـــــات[٣٢]:

أ) في اللغة: الغيب هو ما خفى وسُتر، ومنه قولهم: الغيب ما غاب عنـك فلـم تتمكن من معرفته، وسُتِر عنك غطاؤه فلم تَعرف كيفية الوصول إليه[٣٣]، وكل ما اطمئن من الأرض والشحم فلم يستدل عليه لذاته دخل في نطاق الغيب.

ـ ص٦٨ تحقيق: عامر أحمد حيدر،ط: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت. الطبعة: الثالثـة، ١٩٩٦م.

(٣٠) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسـم، المعـروف بالبـاقلاني البصري المتكلم المشهور؛ ولد في البصرة، وسكن بغـداد ، وصـنف التصـانيف الكثيـرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة،وكان موصوفا بجوده الاستنباط وسرعة الجواب (ت ٤٠٣هـ) من كتبه "إعجـاز= =القرآن"، و"دقائق الكلام" وغيرها.راجع للإمام ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤ ص٢٦٩، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار صادر، بيـروت، الطبعـة: الأولـى، ١٩٧١م، والأعـلام للزركلى، ج٦ ص١٧٦. ط: دار العلم للملايين،الطبعة: الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢ م.

(٣١) الباقلانى، إعجاز القرآن، ص١٢، ط الحلبي الأولى ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م، وراجع للإمـام: السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ج١ص١٨٠، ط: دار الكتب العلمية، بيـروت الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، والإتقان في علوم القرآن ج٤ص ١٩تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: الهيئة المصـرية العامـة للكتـاب ط: ١٣٩٤هـ ـ١٩٧٤م، وللإمـام: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج٢ص ٩٦ تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم ط: دار إحياء الكتب العربية البابى الحلبي، مصر الطبعة: الأولـى ١٣٧٦هـ ـ١٩٥٧م، وللـدكتور محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، ص٢٣، ط مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م. وللأستاذ عبدالكريم الخطيب، الإعجـاز فـي دراسـات السابقين، ص٢٠٤. ط دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

(٣٢) وردت مادة الكلمة (غ ي ب) فى القرآن الكريم حوالي (تسع وخمسون مرة) راجع للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (باب الغـين) ص٥٠٧. ط دار الحديث القاهرة، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.

وذهب ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): إلى أن الغيب هو ما كان بعيدًا لا يتمكن العقل من الوصول إليه، ولا الحواس من معرفته، قالت العرب: غابت الشمس وبَعُدت عن العيون(٣٤).

فكل ما بَعُد عن العقل والحواس وُصف بأنه غيب، وداخل أمثاله معه في نطاق الغيبيات(٣٥)، ويستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾(٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾(٣٧). وبناء عليه فكل ما خفي غيب، وما وقع له الانتظار داخل في هذا المعنى(٣٨).

ويستدل عليه بما رواه ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن امرأة مُغيبًا(٣٩)، أتت رجلاً تشتري منه شيئًا فتعرَّض لها فقالت ويحك؟ إني مغيّب فتركها

---

(٣٣) راجع للعلامة مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٢١ (باب الباء ــ فصل العين)، تحقيق ــ محمد نعيم العرقسوسى ــ ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.

(٣٤) العلامة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج ٤ص٤٠٣ (كتاب الغين ــ باب الغين والياء وما يثلثهما)، تحقيق عبدالسلام هارون، ط الحلبي الثانية ١٣٩١هـ ــ١٩٧١م.

(٣٥) راجع للإمام أبو بكر بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، (باب الباء والغين مع ما يليهما من الحروف في الثلاثي الصحيح) ج١ ص ٣٧١، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين ــ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٣٦) سورة يوسف: من الآية (١٠).

(٣٧) سورة يوسف: من الآية (١٥).

(٣٨) راجع للعلامة الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٧١٧ (باب العين)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ط: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ــ١٩٩٨، وللإمام ابن منظور، لسان العرب، ج١ ص٦٥٤، والمعجم الوجيز، (باب الغين) ص٤٥٨، مجمع اللغة العربية، مصر، وللإمام أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة (غ ي ب) ص٢٣١. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية ط بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م.

(٣٩) المُغَيَّبة: هي المرأة التي غاب عنها زوجها بالسفر، وهي تنتظره سواء أكان السفر للتجارة، أم للجهاد، أم طلب العلم، أم غيرها، وسواء أكان السفر إراديًا أم قهريًا، فإنها يُطلق عليها لفظ

وندم على ما كان منه[٤٠]. وما روي عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة[٤١]، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال ﷺ (أمهلوا حتى ندخل ليلا ــ أي عِشاء ــ كي تمتشط الشعثة، وتستحد المُغَيبة)[٤٢].

ومحل الشاهد أن المغَيَّبة تنتظر زوجها، والغيب هـو الأمـر الخفـي، والمغيب هو الذي لا يدرك بالحس، ولا تقتضيه بديهة العقل[٤٣].

وبناء عليه فإن الغيب هو ما لا يدرك بالحواس، ولا تستقل بـه عقـول الناس، وإنما أمر معرفته موكول إلى الله تعالى.

ب) **في الاصطلاح:** أما في الاصطلاح فإن الغيب ما غاب عن الحس والعقل غَيبـة كاملة بحيث لا يُدرك بواحد منهما ابتداءً على طريق البداهة[٤٤].

والغيب من الناحية الاصطلاحية قسمان:

القسم الأول: ما لا دليل عليه وهو الذي اختص الله تعالى ذاتـه بعلمـه بحيث لم يعطه لأحد من خلقه، ومنه قوله تعـالى:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

المغيبة زوجها. راجع للإمام: ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣ص٣٩٩، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمـود محمـد الطنـاحي، ط: المكتبة العلمية ــ بيروت، ١٣٩٩هـ ــ١٩٧٩م

(٤٠) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، ج٢١ ص٢٦٩، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح ، ط الأولى، المكتب الإسلامي ــ بيروت.

(٤١) **الغزاة:** هي التي مع رسول الله ﷺ، أو بإشراف منه مباشرة، أو تشريف منه ﷺ على سبيل البعث والمراقبة وانتظار الأخبار، أما **السَرية فهي:** ما تكون بأفراد ليس فيهم رسـول اللهﷺ حتى وإن كان هو الذي كلفهم القيام بها. راجع للدكتور/ محمود زيادة، تاريخ العـرب فـي الإسلام، ص٤٨، ٤٩، ط الثالثة ١٩٧١م.

(٤٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب الإمارة ــ باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلا، لمن ورد من سفر، ج٢ ص١٥٢٧ حديث (١٩٢٩) ط الحلبي ١٣٧٥هـ.

(٤٣) راجع للإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسـرار التأويـل، ج١ص٣٨، تحقيـق: محمـد عبدالرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولـى، ١٤١٨هـ. وللعلامة التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون،ج ٢ ص١٢٥٦. تحقيق: د. علي دحروج، ط: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

(٤٤) الإمام أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص٣٠، وراجع للإمام النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ج١ ص١٨، ١٩، بهامش لباب التأويل للخازن.

يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٤٥).

وقد بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٤٦)

وهذه الآية الكريمة تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وهو كذلك؛ لأن الخلق لا يعلمون إلا ما علَّمهم خالقهم جل وعلا.

وقد ذهب الإمام الألوسى إلى القول بأن أهل العرفان ذكـــروا أن للغيـــب مراتب:

أولاها: غيب الغيوب وهو علم الله تعالى المسمى بالعناية الأولى(٤٧).

وثانيتها: غيب عالم الأرواح وهو انتقاش صورة كل ما وجد وســـيوجد من الأزل إلى الأبد في العالم الأول العقلي الذي هو روح العالم المسمى بأم الكتاب على وجه كلي وهو القضاء السابق(٤٨).

وثالثتها: غيب عالم القلوب وهو ذلك الانتقاش بعينه مفصـــلا تفصـــيلا علميا كليا وجزئيا في عالم النفس الكلية التي هي قلب العـــالم المســـمى بـــاللوح المحفوظ(٤٩).

---

(٤٥) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٤٦) سورة لقمان: الآية (٣٤).

(٤٧) ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـــهَادَةِ الْكَبِيـــرُ الْمُتَعَـــالِ﴾ [ســـورة الرعـــد: الآية(٩)].

(٤٨) المستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَـــاءُ وَيُثْبِـــتُ وَعِنْـــدَهُ أُمُّ الْكِتَـــابِ﴾ [ســـورة الرعد:الآية(٣٩)].

(٤٩) ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الزخرف: الآيـــة (٤). وقوله تعالى:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:الآية(٣٨)].

ورابعتها: غيب عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات بأسرها فـــي النفـــوس الجزئية الفلكية منطبعة في أجرامها معيَّنة مشخَّصة مقارنِة لأوقاتها على ما يقـــع بعينه. وذلك العالم هو الذي يُعبَّر عنه بالسماء الدنيا إذ هو أقرب مراتب الغيـــوب إلى عالم الشهادة ولوح القدر الإلهي الذي هو تفصيل قضائه سبحانه(٥٠)..."(٥١).

وقد أخرج البخاري فى صحيحه عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن النبي ﷺ قال: "﴿ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ خمس:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّـــاعَةِ وَيُنَـــزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِـــأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٥٢)..(٥٣)

القسم الثاني: قسم عليه دليل عقلياً(٥٤)، أو نقلياً سواء كان ميدانه فـــي العقيدة، أم الشريعة، أم الأخلاق.

---

(٥٠) والمستدل عليه بقوله تعالى:﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِـــيمٌ ﴾ [ســـورة يوسف من:الآية(٧٦)].

(٥١) العلامة الألوسى،روح المعانى،ج٤ص١٨٤. تحقيق:علي عبدالباري عطية،ط:دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. وراجع للإمام القاسمى، محاسن التأويـــل، ج٤ ص٣٨٠، تحقيـــق: محمد باسل عيون السود، ط:دار الكتب العلميه ــ بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

(٥٢) سورة لقمان: الآية (٣٤).

(٥٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب تفسير القرآن ــ باب:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: الآية (٥٩)] ج٣ص٢٢٧ حديث (٤٦٢٧).

(٥٤) طريق معرفة الله تعالى، أولاً: العقل السليم يدل عليه أن معرفة الله تعالى قائمـــة بـــالفطرة العاقلة التي أودعها الله ــ سبحانه تعالى ــ في الكائن العاقل، والحيوان الأعجم، ويستطيع أن يُعبّر عنها في صيغة من الصيغ، ويدخل فيها حديث النملة، والهدهد مع ســـليمان ــ عليـــه السلام .، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾، [ســـورة الزخرف: الآية (٨٧)]. والفطرة الشاعرة من ناحية أخرى ، وهي التي توجـــد فـــي جميـــع الكائنات التي نحسبها غير عاقلة، بينما هي تطبق سنن الله الاطرادية، ومنه تسبيح السماوات والأرضين، والأشجار، وقطرات لماء، بل وتتعانق كل واحدة منها مع الأخرى لتحقيق غاية مقصودة وتعبر عن حكمه إلهية. راجع للدكتور محمد حسيني موسى الغزالي، تدبر القـــرآن وإصلاح المجتمع، ص١٣٨، ١٣٩.ط الثانية، ــ ١٤٣١هـــ ــ ٢٠٠٩م.

يقول العلامة أبو السعود: "وهو الذي ثبت عليه دليل من العقل أو النقل كالصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع، واليوم الآخـــر وأحواله من البعث والنشور والحساب، والجزاء"(٥٥).

من جملة ما سبق اتضـــح أن الغيـــب أوســـع مـــن الســـمع باعتبـــار الموضوعات من جهة، ولأن الغيب الذي لم يرد عليه دليل ما زلنا لا نعرف عنـــه شيئاً، وقد نبهت آيات القرآن الكريم إلى وجوده في آيات منهـــا قولـــه تعـــالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥٦).

كما أن الغيب منه غيب الخالق الذي يتعلق بذات الله تعـــالى وصـــفاته، والغيب المخلوق، وهو المرتبط بما سوى الله عز وجل(٥٧).

وقد نبه الإمام محمد عبده(ت١٣٢٣هـ) إلى أن الغيب الذي لا يُهتدي إليه إلا بواسطة الدليل أو الوجدان السليم، وغاب عن الناس ومشاعرهم فإن الـــوحي هو الذي يدل عليه، والوجدان السليم الذي تكون أدلة معرفته فطرية(٥٨)، على أن الذي أشير إليه هو كون الغيب كلفظ منطوق به هو ما لا يدرك بالعقل أو الحواس، ولا تصل إليه مباشرة عقول الناس(٥٩).

غني عن البيان القول بأن الغيب أوسع مـــن الســـمعيات علـــى ناحيـــة الموضوعات، وهو أنواع منه: الغيب المطلق الحقيقي الخاص بالله تعالى وحـــده، ويصح أن تقول فيه: إن الله تعالى وحده يعلم الغيب، ويجب الإيمان به إجمالاً فيما

---

(٥٥) العلامة أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١ ص٣٠.ط : دار إحياء التـــراث العربـــي ــ بيروت.

(٥٦) سورة النحل: الآية (٨).

(٥٧) لمزيد من التفصيل، راجع للدكتور محمد حسينى موسى الغزالي، الإيمان بالغيـــب وأثـــره على الفكر الإسلامي. ط آل بسيونى. الطبعة العاشرة ٢٠١١م.

(٥٨) الإمام محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المسمى تفســـير المنـــار، ج١ ص١٠٧ بتصـــرف يسير، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

(٥٩) راجع للإمام أبي بكر الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، ص٤٠، تحقيـــق الدكتورــ محمد أبو ريده، وآخرون، الطبعة الأولى القـــاهرة ١٩٤٧م، ولإمـــام الحـــرمين، الجويني، الشامل فى أصول الدين، ص٢٤، تحقيق الدكتور علي سامي النشـــار وآخـــرون، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٧م.

أجمل، وتفصيلاً فيما فصل، ومنه غيب يمكن أن يُظهر الله عليـــه بعـــض خلقـــه، ومُنهم الأنبياء ومنهم المرسلون وحيًا لهم، كما يصح إلهامًا أو فراسة لغيرهم(٦٠)، والصور والنفخ فيه من هذا الجانب.

وهناك نوع آخر من الغيب يسمى: الغيب الإضافي القائم على التمكن من الأسباب، وهي لا تُخوِّل لصاحبها الزعم بأنه يعلم بعض الغيب وإنما لابد أن ينسب ذلك كله إلى الخالق العظيم الذي أقدره عليه ووفقه إليه(٦١).

ومن البيِّن أن الصُوُر في حقيقته غيب مطلق، وفيما جاء من عنـــد الله تعالى منه، غيب مما أنبأ به الله تعالى رسله، ومن زعم غير ذلـــك فـــلا اعتـــداد بزعمه، ولا التفات لقوله.

ثانياً ـ لفظ السمعيات:

وردت مادة الكلمة (س م ع) في القرآن الكريم حوالي (مائـــة وخمـــس وثمانون مرة تقريبا)(٦٢)، كذلك وردت في كل من اللغة، والاصطلاح، أُلمح إليهـــا فيما يلي:

أ) في اللغة:

وردت مادة الكلمة (س م ع) في لغة العرب على العديد مـــن المعـــاني أبرزها:

ـ ما يطلق على آلة السمع من الإنسان وغيره، فيقال: هذا سمع الإنسان يريدون المَلَكة التي بها يتم السمع(٦٣).

---

(٦٠) يمكن القول بأن هذا النوع يوصف المدركون له بأنهم يعلمون من الغيب مـــا يُمَكِّـــنهم الله تعالى من معرفته، راجع للدكتور ـ محمد حسيني موسى الغزالي ـ الإيمان بالغيب وأثـــره على الفكر الإسلامي ص٦٩ ـ ط آل بسيونى. الطبعة العاشرة ٢٠١١م.

(٦١) من الغيب ما يغيب عن الإنسان وعن غيره، ولهذا الغيب مقدمات إن أخذ الإنسان بها فهو يصل إلى معرفة هذا الغيب، وهذا ما نراه في الاكتشافات العلمية التي تُولد أسرارها بأخـــذ العلماء بالأسباب التي وضعها الله في الكون، وهو لون من الغيب الإضافي". الشيخ محمـــد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوى "الخواطر" ـ ج٦ص ٣٦٦٩،ط ،مطابع أخبار اليوم مصر ـ ط الأولى ١٩٩٧ م.وراجع للإمام الشيخ محمد عبده ـ تفسير المنار ـ ج٧ص٣٥٤.

(٦٢) راجع للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، (باب السين)، ص٣٥٨ ـ٣٦١.

وقد عرفه الراغب بأنه:" قوة[٦٤] في الأذن به تدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع"[٦٥].

وعرفه أبو البقاء بأنه:" حِس الأذن، والأذُنُ أيضا، وما وقر فيهـــا مـــن شيء تسمعه، وهو قوة مرتبة في العصبة المنبسطة في السطح الباطن من صماخ الأذن، من شأنها أن تدرك الصوت المحرِّك للهواء الراكد في مقعر صـــماخ الأذن عند وصوله إليه بسبب ما.

ويُستدل على هذا المعنى بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[٦٦].

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[٦٧].

ــ ومنه الفهم الواعي، حيث يقولون: هذا يُجيد السمع يقصدون الفهم الذي يحقق الفائدة المرجوة[٦٨]، ويستدل عليه بقوله تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ

---

(٦٣) راجع للعلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجـــوهرى، الصـــحاح ــ (حـــرف الســـين)، ص٥٥٩، تحقيق د محمد محمد تامر وزميليه، ط دار الحديث، بالقاهرة ١٤٣٠هـ ــ٢٠٠٩م.

(٦٤) السمع قوة واحدة ولها فعل واحد، ولهذا لا يضبط الإنسان في زمان واحد كلامين والأذن محله، ولا اختيار لها فيه، فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليها، ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض، بخلاف قوة البصر، إذ لها فيه شبه اختيار، فإنها تتحرك إلى جانب دون آخـــر، وبخلاف الفؤاد أيضا فإن له نوع اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره. الإمام أبـــو البقـــاء الكفـــوى، الكليات، ص ٤٩٥. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعـــة الثانية ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.

(٦٥) الإمام الراغب الأصفهانى ــ المفردات فى غريب القرآن ــ ص٤٢٥.

(٦٦) سورة النحل: الآية (٧٨).

(٦٧) سورة المؤمنون: الآية (٧٨).

(٦٨) راجع للعلامة الزمخشري، أساس البلاغة (باب السين) ص٦٤٥، والمعجم الوجيز، مجمـــع اللغـــة العربية، مصر (باب السين) ص٤٣٤، والمعجم الوسيط (باب السين) ج١ ص٤٤٩، مجمـــع اللغـــة العربية، مصر

﴿ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٦٩) والآيات فى هذا المعنى كثيرة(٧٠).

يذكر الإمام ابن كثير: "أن من اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلـــى عبـــادة الرحمن. فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحيـــاة الـــدنيا وفـــي الآخرة.الـــذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويفهمونه ويعملون بما فيه، ويستدل على ذلـــك بقوله تعالى لموسى حين آتاه التـــوراة: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ ﴾(٧١) والمتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخـــرة لأنهم ذوو عقول صحيحة، وفِطَر مستقيمة"(٧٢).

ومحل الشاهد أنهم أنصتوا إلى القول المنزَّل من قِبَل الله تعالى، وفهموه وسعوا إلى العمل به.

وكان أهل مكة من المشركين يمارسون أنواعًـــا مـــن الضـــغوط علـــى المستضعَفين خشية أن يستمعوا إلى القرآن، فيفهموا ما فيه فيقع لهم خروج من الشرك إلى التوحيد، ومن المعاندة للإسلام ونبيه إلى المعاضدة، وقد صَوَّر القرآن ذلك عنهم في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(٧٣).

---

(٦٩) سورة الزمر: الآية (١٨).

(٧٠) منها قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: الآية (٣٧)]. والمعنى: "من كان له قلب واع، لأن من لا يعي قلبُه فكأنه لا قلبَ له. وإلقـــاء الســـمع: الإصغاء وهو حاضر بفطنته، لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب" الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٩١.

(٧١) سورة الأعراف: الآية (١٤٥) .

(٧٢) راجع للإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٧ص ٩٠.

(٧٣) سورة فصلت: الآية (٢٦).

ـ ومنه ما يقع به ذيوع الصيت، وانتشار الشُهرة، فإن ذلك متى بلغ المبلغ وقع من الناس موقع الذيوع والانتشار(٧٤). ويـدل عليه قوله تعـالى فـى شـأن إبراهيم ـ عليه السـلام ـ: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ (٧٥).

يقول العلامة الطبرى (ت:٣١٠هـ):" يقول تعـالى ذكـره: ورزقنـاهم الثنـاء الحسن، والذكر الجميل من الناس.وإنما وَصف ـ جل ثناؤه ـ اللسان الذي جعـل لهـم بالعلوّ، لأن جميع أهل الملل تُحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فـلان، تعني ثناءه أو ذمه"(٧٦).

ومثله قوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم ـ عليه السلام:﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾(٧٧).

يقول الإمام البِقَاعى(ت: ٨٨٥هـ):"ولما كان الصالح قـد لا يُظهـر عملـه(٧٨)، وكان إظهار الله له مجلبة للدعاء وزيادة في الأجر، قال:﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِـي

---

(٧٤) راجع للإمام الجوهري ـ الصحاح (حرف السين) ص٥٥٩، ٥٦٠، والمعجـم الوسـيط. ص٤٤٩ (باب السين).

(٧٥) سورة مريم: الآيتان (٤٩ ـ٥٠).

(٧٦) الإمام محمد بن جرير الطبرى ـ جامع البيان في تأويل القرآن ـ ج١٨ص٢٠٨. تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ ط: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة: الأولـى ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م. وراجع للإمام الماوردى، النكت والعيون، ج٣ ص٣٧٥، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بـن عبدالرحيم، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٧٧) سورة الشعراء: الآيتان (٨٣ ـ٨٤).

(٧٨) هاهنا فرق بين المُخلص الذى يريد بعمله وجه الله كما أمر ـ سبحانه:﴿ وَمَـا أُمِـرُوا إِلَّـا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[سـورة البينة:الآية(٥)]. فيجازيه الله بالثناء الحسن، وبين المرائى الذى يقصد بعمله رؤيـة النـاس وسماعهم لينال الشهرة عندهم ،والثانى قد ورد ذمه فى قوله:ﷺ :(من سَمَّع سَمَّع الله بـه ، ومن يرائي يرائي الله به) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرياء والسـمعة ـ ج٤ ص ١٩١حديث(٦٤٩٩). والمعنى:" أن من عمل عملا على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويُظهر ما كـان يبطنـه، وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يُرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا عند

الْآخِرِينَ﴾ أي ذكراً جميلاً، وقبولاً عاماً، وثناء حسناً، بما أظهرتَ مني من خصال الخيـــر ﴿ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي الناس الذين يوجدون بعدي إلى يوم الدين، لأكون للمتقـــين إمامـــاً، فيكون لي مثل أجورهم، فإن (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجـــر مـــن عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء)[٧٩] وقد كان ذلك إجابـــة مـــن الله تعالى لدعائه، ومن أعظمه أن جعله الله شجرة مباركة فَرَّع منها الأنبياء الـــذين أحيـــى بهم ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ذكره الذي من أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النبي الأمي ﷺ من قوله: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت علـــى إبـــراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركـــت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[٨٠].."[٨١].

ومن ثم فإن السمعيات هي التي يكون مصدرها السمع بحيث يبلغ الأذن، ويتمكن منه الفهم، ولذا فهو قسمان:

أولهما: قسم يتعلق بالسمعيات التي وردت عن الله تعالى في كتابه وسُنّة رسولهﷺ، ويسمى السمع المعصوم[٨٢].

ثانيهما: قسم يتعلق بالسمعيات المنقولة بين الناس بعضهم عن بعـــض وليست معصومة، وإنما يدور أمرها بين الصحة والخطأ، فإن كانت صحيحة على ناحية الشرع قُبلت، وإن كانت على غير ذلك رُدَّت .وسُميت سمعيات من حيث إن

الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة ومعنى يرائي يطلعهم على أنـــه فعل ذلك لهم لا لوجهه سبحانه" راجع للإمام ابن حجر، فتح البارى ، ج١١ص٣٣٦.

(٧٩) أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب الزكاة ــ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمـــرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النارــ ج٢ ص٧٠٤، حديث (١٠١٧).

(٨٠) أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب قول الله تعالى:﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء:الآية(١٢٥)] باب (١٠) ج٢ص ٤٦٧ حديث (٣٣٧٠).

(٨١) الإمام البقاعى ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والســـور ــ ج١٤ص٥٥.ط: دار الكتـــاب الإسلامي، القاهرة.

(٨٢) سُمي معصومًا؛ لأن الله تعالى قال في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾، [سورة الحِجْر: الآية (٩)]، وقال عن السنة المطهـــرة: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾، سورة النجم: الآيتان (٣ــ٤)].

آلة السمع هي التي تستقبلها، ولذا فهي سمعيات من ناحية اللغة لا مـــن ناحيـــة الحقيقة(٨٣).

ب) في الاصطلاح:

لست أتعرض بالاصطلاح لغير السمعيات الشرعية المعصومة من حيـــث مصادرها التي أخبَرَت عنها، فذلك غاية الباحث المنصف، وقد تعددت التعريفـــات الاصطلاحية التي وردت بشأن السمعيات كل من الجانب الذي أتى عليه، وأقربهـــا تداولاً هو:

أن السمعيات هي الأمور التي أخبر بها السمع المعصوم، ولا دليل للعقل وحده في إثباتها كما لا يُسمَع له عند نفيها، لأنها أعلى من قدراته، وأوسع مـــن طاقاته(٨٤).

وقد نبه ابن خُلْدون (ت: ٨٠٨هـ) إلى أن العقل ميزان صحيح وأحكامـــه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تَزِنَ به أمور التوحيد والآخرة وحقيقـــة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طَوره فإن ذلك طمع في مُحال(٨٥).

كما عُرّفَت بأنها الأمور التي لا تُعْرف إلا من السمع وليس للعقل فيهـــا مجال(٨٦). والسمعيات على هذا المعنى أخص من الغيبيات باعتبار أن الســـمعيات ما تم الإخبار بها في الكتاب الحكيم والسنة النبوية المطهرة، وبالتالي فهي جـــزء من الغيبيات، ومنها العموم والخصوص المطلق، فالغيبيات كلها أعم من السمعيات كلها.

---

(٨٣) كالحال مع الأخبار التي تنقل عن البلاد التي يعيش فيها أصحابها، ولم ينـــزل إليهـــا مـــن سمعوا عنها، فإنها سمعيات من هذا الجانب اللُغوي، كمن يقيم بمصر وقد سمع عـــن قـــارة استراليا، أو غير ذلك من القارات، أو من سمع عن الأساطير والخرافات التي امتلأت بهـــا عقول كثير من العوام، حتى حلّت في بعضهم محل المعتقدات.

(٨٤) راجع للدكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي، الغزاليات في السمعيات ص٣٨، مطبعة آل بسيوني. الطبعة العاشرة ٢٠٠٦م.

(٨٥) العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خُلدون الحضرميّ الإشبيلي، مقدمة ابن خُلدون ص٤٦٠، ط دار القلم بيروت ــ لبنان.الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

(٨٦) راجع للعلامة الشيخ محمد بن أبي السعود صالح السباعي ــ حاشية على شرح الخريـــدة الهنية للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد الدردير المالكي، ص٤٥١، تحقيق السيد بن علي السيد عبدالرحمن الهاشمي، الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة ١٤٢٣هـ.

والبادي أن النفخ في الصور باعتبار الحقيقة غيب، وكل ما يحـيط بـه كذلك، أما من ناحية إخبار الله تعالى به في القرآن الكريم، أو وروده في السـنة النبوية المطهرة، فقد صار سمعيًا بهذا الاعتبار دون سواه.

ثالثاً ـ كلمة النفخ:

وردت مادة الكلمة (ن ف خ) في القرآن الكريم حوالي (اثنتين وعشرين مرة) (٨٧)، كذلك وردت في لغة العرب واصطلاح أصحاب الاختصاص، أعرضـها فيما يلي:

أ) في اللغة:

وردت مادة الكلمة في لغة العرب على إخراج الهواء من الفم حيـث إن ذلك هو المتبادر من كلمة نفخ(٨٨)، وكلما كان الهواء خارجًا من الفم على ناحيـة الاستراحة، أو المعالجة فإنه يكون نفخًا، ويُذْكر عندما يكون المراد إبراز الغـيظ من شيء ما. فيقولون: فلان نَفَخ غَضبَه بمعنى نشَره وعبَّر عنه يستوي في ذلك الريح، والنَفَس المتردد في الصدر(٨٩).

وكما يطلق النفخ على إخراج الريح عن طريق الفم، فإنه قـد يسـتعمل لدى العرب على ظهور شمس الضُحَى، ومنه قولهم: انتفخ النهار بمعنى عَلا قبل الانتصاف بساعة أو ما دونها(٩٠).

كذلك يُطلَق على النُضج والاستواء فيقولون: شابٌ نَفْخ، وجارية نَفْـخ، ملئتهما نفخة الشباب(٩١).

---

(٨٧) راجع للشيخ، محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (باب النون) ص٧٠٩. ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.

(٨٨) الإمام ابن منظور، لسان العرب، (باب الخاء، فصل النون) ج٣ ص٦٤.

(٨٩) راجع للعلامة الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (باب الخاء، فصل النون) ص٢٦١، وللإمام الزمخشري، أساس البلاغة، ج٢ ص٢٩٠، وراجع للإمام الراغب الأصفهاني، المفـردات، ص٥٠٠.

(٩٠) راجع للإمام الجوهري، الصحاح، (باب الخاء)، وابن منظور، لسان العرب، ج٣ ص٦٤.

ويقولون أيضًا: هذه نفخة الربيع يريدون انتهاء نبته، ومعنـــاه أن هـــذا الشيء هو المتبقى منه، وبدونه لا يبقى منه أثر(٩٢).

وعلاقة هذا المعنى بالنفخ في الصور هي أنه إذا تم انتهى كل شيء في الكون، إما على الأَفراد أو على المجموع.

حسبي مما سلف القول: بأن النفخ إذا كان فـــي الماديـــات المحسوســـة والواقعة في نطاقها فإنه ينصرف إلى مثلها، يستوي في ذلك النَفَس والريح، وما جرى مجراهما، أما إذا ارتبط بنهايات الأشياء من الناحية المعنويـــة أو الغيبيـــة، فإنه يكون بمثابة فاصل بين شيئين أحدهما مضى والثاني سيأتي بعده.

ب) في الاصطلاح:

تعددت اصطلاحات الناس في مفهوم النفخ من ناحية الصُوُر وتكـــاثرت الآراء فيه.

فمنهم ذاهب إلى أن النفخ حركة مقصودة يقوم بها فاعل بذاته قاصـــدًا إياها سواء كان ذلك من طبيعته وجبلّته، وقد جاءه الأمر بإرادته، أم كان راجعًـــا إلى قوة عليا وإرادة لا يملك لها ردًا(٩٣).

والجزء الثاني من التعريف السالف هو الذي يصح القول به فيما نحـــن بصدده، وأعنى به ما كان راجعًا إلى قوة عليا تترتب عليها نهايات الأشياء مـــن الناحية المعنوية أو الغيبية.

وذهب البُورسوي (ت:١١٣٧هـ) إلى أن النفخ إنما هو صوت يدل علـــى تضجر مستدلاً عليـــه بقولـــه تعـــالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ

---

(٩١) القاموس المحيط، (باب الخاء، فصل النون) ص٢٦١. وراجع للإمام إسماعيل بن ســـيده، المخصص، ج١، ص٦٢، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط: دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٩٢) راجع للعلامة الزمخشري، أساس البلاغة، ج٢ ص٢٩٠. وراجع للإمام الزبيـــدى، تـــاج العروس (فصل النون مع الخاء المعجمة) ج٧ص ٣٥٨. تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ــ١٩٩٤م.

(٩٣) راجع للدكتور ــ أ.ب وايت، الفيزياء والميكروفيزياء، ص١٣، ١٤، ترجمة: عبدالله الســـيد رضوان، ط مكتبة فوزي رزق ١٩٩١م.

إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾(٩٤)، وقد فهم العلامة البروسوي النفخ من مادة قوله تعالى: ﴿ أُفٍّ ﴾(٩٥).

وذهب غيره إلى أن النفخ في حد ذاته مادة تخرج من الرئتين منقولة عن طريق الفم يراد بها إحداث نوع ما حتى قالوا أن النفخ مادة ذات تأثير فيزيائي في الكون الطبيعي(٩٦)، وهو هنا إنما يتحدث عن النفخ باعتباره جانبًا ماديًا.

وقد عرفه الإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) بأنه: "إجراء الريح في تجاويف جسم آخر"(٩٧).

وقد ذهب العلماء إلى أن الاصطلاح الذي يرد فيه لفظ النفخ يتنوع باعتبار الفاعل إلى أنواع:

النوع الأول: النفخ المضاف إلى الله تعالى في خلق آدم(٩٨) ــ عليه السلام ــ قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(٩٩).

ذكر العلامة البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ): "أن الله ــ تعالى ــ عَدَّل خِلْقَة الإنسان وهيأه لنفخ الروح فيه. حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه الحيوانية

---

(٩٤) سورة الإسراء: من الآية (٢٣).
(٩٥) راجع للإمام البروسوي، تفسير روح البيان، مجلد ٢، ج١٥ ص٣٣٩.
(٩٦) جورج إسكندر بيتر، الفيزياء من منظور بحثي، ص٤٥، ٤٦، ترجمة سعد فتح الله، مكتبة المنتزة ١٩٩٩م.
(٩٧) الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير،ج١٩ص١٣٩، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
(٩٨) ورد النفخ مضافا إلى الله تعالى فى خلق آدم عليه السلام. ويدل عليه قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[سورة ص:الآيتان(٧١ــ٧٢)].
(٩٩) سورة الحِجر: الآيتان (٢٨ــ٢٩).

فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن، جعـل تعلقـه بالبـدن نفخاً"(١٠٠).

وأضاف العلامة ابن عطية(ت:٥٤٢هـ) قائلا: "إذا كمَّل الله خلق الإنسـان وأتقنه حتى استوت أجزاؤه. نفخ فيه من روحه، وقد أضـاف الله ــ سـبحانه ــ النفخ إليه إضافة خَلق ومِلك إلى خالق مالك"(١٠١). ومنه قول الله تعالى عن خلـق عيسى ـــ عليـه السـلام(١٠٢):﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ (١٠٣).

ويعلق العلامة الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)على هذه الآية فيقـول: "وأمـا التشبيه بالنفخ فذلك أن الروح إذا خُلق فيه انتشر في تمـام الجسـد كـالريح إذا نُفخت في شيء، وعبَّر بالنفخ لسرعة دخوله فيه نحو الريح"(١٠٤).

---

(١٠٠) الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج ٣ص٢١٠، تحقيـق: محمـد عبـد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

(١٠١) الإمام ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيـز، تحقيـق: عبـد السـلام عبدالشافي محمد ط: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(١٠٢) ورد النفخ مضافا إلى الله تعالى فى خلق عيسى ــ عليه السلام ــ فى قوله تعالى:﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَـا مِـنْ رُوحِنَـا وَجَعَلْنَاهَـا وَابْنَهَـا آيَـةً لِلْعَـالَمِينَ ﴾[سـورة الأنبياء:الآية(٩١)]. قال العلامة البغوى:" والتي أحصنت فرجها، حَفِظته من الحـرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ ، أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفا لعيسى ــ عليه السـلام ــ ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام، وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهمـا واحدة، وهي أنها أتت به من غير فحل" معالم التنزيل، ج٣ ص٣١٦ تحقيـق: عبـدالرزاق المهدي، ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(١٠٣) سورة التحريم: الآية (١٢).

(١٠٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠ ص٥٧٥، وراجع للعلامة ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٣٩٣، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي ،ط: دار الأرقم بن أبي الأرقـم ــ بيروت الطبعة: الأولى ــ١٤١٦هـ.

النوع الثاني: النفخ المضاف إلى المَلَك، ومنه قوله ﷺ: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضـــغة مثـــل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم يَنفُخ فيه الروح...الحديث)(١٠٥).

قال العلامة الجِرْدَاني (ت١٣٣١هـ) "ينفخ فيه الروح التـــي بهـــا يحيـــا الإنسان وحقيقة النفخ إخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه والمراد به هنـــا أن يُدخل الملك الروح في البدن بعد تمام خِلقته فتسري فـــي أجزائـــه الظـــاهرة والباطنة فيجد اللذة والألم"(١٠٦).

ــ ومن هذا الباب ما يرد النفخ فيه مضافًا لإسرافيل ــ عليه السلام ــ وهو النفخ في الصُوُر، لقوله ﷺ:(إن الله عز وجل لما فرغ من خلق الســـموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شـــاخصٌ ببصـــره إلـــى العرش ينتظر متى يُؤمر)(١٠٧).

النوع الثالث: النفخ المضاف إلى الأنبياء: كما يُنسب النفخ إلى عيسى بن مريم رســـول الله فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

---

(١٠٥) أخرجه البخاري فى صحيحه، كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكـــة ج٢ص٤٢٤حـــديث (٣٢٠٨).

(١٠٦) العلامة الشيخ محمد بن عبدالله الجِرداني الدمياطي، شرح الجرداني على الأربعين حديث النووية، وله عنوان فرعي هو: "الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعـــين النوويـــة"، الحـــديث الرابع، ص٤٧، ٤٨، ط محمد علي صبيح.

(١٠٧) أخرجه البيهقي فى البعث والنشور ــ حـــديث الصور ـــ ج١ص ٣٣٦حـــديث (٦٠٩) تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، ط: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيـــروت، الطبعـــة الأولى ١٤٠٦هـ ــ١٩٨٦م، وأخرجه أبو محمد الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ــ فى كتاب العظمة ــ صفة إسرافيل عليه السلام، وما وكل بـــه ــ ج٣ ص ٨٢١ حـــديث (٣٨٦) تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصـــمة ــ الريـــاض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ. قال العراقي: إسناده جيد.المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار"مطبوع بهامش إحياء علوم الـــدين"ج١ ص١٨٩٨، ط: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.

وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(١٠٨).

وقوله تعالى حكاية عنه:﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾(١٠٩).

يقول الإمام أبو حيان (ت:٧٤٥هـ): "وتعاطِي عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ التصوير بيده والنفخ في تلك الصورة تبيين لتلبسه بالمعجزة، وتوضيح أنها من قِبَله، وأما خلق الحياة في تلك الصورة الطينية فمن الله وحده"(١١٠).

ويرى الإمام الماتريدى (ت:٣٣٣هـ) أن إضافة الخلق إلى عيسى ــ عليه السلام ــ هو على المجاز، لا على التخليق والتكوين؛ لأن الخلق ليس هو من فعل المخلوق، وإنَّمَا هو من فعل اللَّه ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ لأن التخليق: هو الإخراج من العدم إلى الوجود، وذلك فعل اللَّه ــ تعالى ــ لا يقدر المخلوق على ذلك؛ فهو على المجاز...أي: أُظهر لكم بيدي ما خلق اللَّه من الطين طائرًا؛ فيكون آية لرسالتي إليكم؛ وكذلك الآيات ليس مما ينشئ الأنبياء، ولكن تظهر على أيديهم. وإنَّمَا لم يجز إضافة التخليق إلى الخلق؛ لما أنه إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وذلك ليس إلى الخلق"(١١١).

---

(١٠٨) سورة آل عمران: الآيتان (٤٨ــ٤٩).
(١٠٩) سورة المائدة: من الآية (١١٠).
(١١٠) الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط ،ج٣ ص ١٦٤ ، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
(١١١) الإمام الماتريدى، تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة" ج٢ص٣٧٦. وراجع للشيخ البروسوى، تفسير روح البيان.ج٨ص١٣٦.وراجع للإمام السمعانى، تفسير القرآن، ج١، ص٣٢٠. تحقيق: ياسر إبراهيم، وآخرون ، ط: دار الوطن، الرياض ــ السعودية ــ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ــ١٩٩٧م.

فقد أضاف النفخ إلى سيدنا عيسى بن مريم رســول الله ﷺ مــن بــاب الإضافة والنَسَب؛ لكن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل.

النوع الرابع: النفخ المضاف إلى واحد من البشر علمــائهم أو العــوام، وربما كان من أصحاب المهن(١١٢) أو الحِرَف(١١٣)، ويستدل عليه بقولــه تعــالى حكاية لقول ذى القرنين عند بناء السد:﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾(١١٤).

حيث طلب منهم ذو القرنين أن يعينوه بقوة لكى يجعــل بيــنهم وبــين يأجوج ومأجوج مانعا من عبورهم إليهم. فقال لهم: إءتونى بقطع الحديد، فأعطوه ذلك. حتى إذا ساوى بين الجبلين اللذين بني بينهما السد﴿ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ﴾ النــار وأوقدوها إيقادا عظيما، واستعمِلوا لها المنافيخ لتشتد، فتُذيب النحاس، فلمــا ذاب النحاس،الذي يريد أن يلصقه بين زُبَر الحديد

:﴿ قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ نحاسا مذابا، فأفرَغ عليه القِطــر، فاستحكم السد استحكاما هائلا وامتنع به مَن وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَــهُ نَقْبًــا﴾ أي: فمــا لهــم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليــه لارتفاعــه، ولا علــى نقبــه لإحكامــه وقوته(١١٥).

---

(١١٢) المهنة: العمل والعمل يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق بممارسته يقال ما مهنتك ههنــا أى عملك" المعجم الوسيط، باب الميم، ص٨٩٠.

(١١٣)الحِرفة: وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها ويقال حرفته أن يفعل كذا دأبه وديدنه وجمعها حِرَف. المعجم الوسيط ــ باب الحاء، ص١٦٧.

(١١٤) سورة الكهف :الآية(٩٦).

(١١٥) راجع للشيخ عبد الرحمن بن ناصرالسعدى، تيسير الكريم الــرحمن فــي تفســير كــلام المنان،ج١ص٤٨٦. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

ويدل على نسبة النفخ إلى أصحاب الحِرَف كالحدَّاد قوله ﷺ: (إنما مثـــل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المســـك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة)(١١٦).

ـ وقد يُنسب النفخ إلى نبات أو غذاء أو طعام فيقال: أكل فلان كذا وليس له بـــه عهد فانتفخ بطنه، ومنه حبس الريح في الأمعاء فيؤدي إلى الشعور بالامتلاء حتى يتمنى صاحبه إخراجه مخافة أن يهلك بسببه(١١٧).

ـ ومنه ما يضاف إلى صفة من الصفات كصفة الغضب مثلاً فإنهـــا إذا اســـتولت على صاحبها تؤدي به إلى انتفاخ أوداجه فتغلبه نفسه وينقل من حالة الهدوء إلى الغضب، وذلك لأن الغضب:"ثوران يغلى به الدم فيرتفع فى أعالي العـــروق فيحمَرُّ ظاهر البدن دفعا للأذى قبـــل وقوعـــه وانتقامـــا مـــن المـــؤذى بعـــد حصوله"(١١٨).

ولعل التوجيه النبوي قد قام لإزالة هذا الانتفاخ، وذاك الاحتقان في قوله ﷺ للرجل الذي طلب منه الوصية، فقال له ﷺ (لا تغضب)، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال: لا تغضب فردد مرارًا قال: لا تغضب)(١١٩).

---

(١١٦) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٢٦، حديث (٢٦٢٨)، وأخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب البيوع، باب في العَطَّار وبيع المسك، ج٢ص ٨٩، حديث (٢١٠١).

(١١٧) إذا انَّخَمَ الرجل انتفخ بطنه وآلمه من كثرة الأكل قيل: حَبِطَ حَبَطًا ، بفتح المهملة والموحدة والطاء مهملة ومعناه انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال: حَبَطت الدابة تحبط حَبَطا إذا أصابت مرعى طيبا فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، يشير إلى هذا المعنى قوله ــ ﷺ (إن هـــذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حَبَطا أو يُلِم) أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب الجهاد والسير ــ باب النفقة فى سبيل الله ــ ج٢ ص٣١٧ حديث (٢٨٤٢)، والشاهد أن فى هذا الحديث مثلا للمُفْرِط في جمع الدنيا المانع من إخراجها في وجهها وهو الذي يَقْتُل حَبَطا" الإمام ابن حجر ،فتح البارى ج١١ص ٢٤٧.

(١١٨) الشيخ طنطاوي جوهرى، جوهر التقوى ص٦٧، المطبعة الرحمانية مصر، الطبعة الثانية ١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٤م.

(١١٩) أخرجه البخاري فى صحيحه ــ كتاب الأدب ــ باب الحذر مـــن الغضـــب ــ ج٤ص ١١٢، حديث (٦١١٦).

مما سلف بيانه اتضح أن النفخ يرد بإضـــافات عديـــدة، والـــذي نركـــز الحديث عنه هو النفخ في الصُوُر طبقًا لما جاءت به الآيات القرآنية ودلت عليـــه ظواهر الأحاديث النبوية، وهو الذي يقوم به سيدنا إسرافيل ــ عليـــه الســـلام ــ بأمر ربه .

ويُعَرّف بأنه: تكليف الله تعالى لإسرافيل ــ عليه الســـلام ــ والإذن لـــه بالنفخ في الصور طبقًا لما جاء من لدن الرب الغفور.

وقد عرفه الشيخ ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) بأنه: "عبـــارة عـــن أمـــر التكوين بإحياء الأجساد للبعث مثل الإحياء بنداء طائفة الجند المكلفـــة بـــالأبواق لنداء بقية الجيش حيث لا يتأخر جندي عن الحضور إلى موضع المنـــاداة، وقـــد يكون للملك الموكل موجود يصوت صوتا مؤثرا"(١٢٠).

وقد عُرِّف من الناحية الاصطلاحية بأنه: نفخ مخصوص في وقت مخصوص من مَلَك مخصوص لإيجاد ما أراد الله تعالى كما جاء في كتابه، وسنة نبيه ﷺ من أن نافخًا ينفخ في صور عظيم لإرادة الله تعالى تغيير ما يريد تغييره فـــي خلقـــه لأمر القيامة(١٢١)، وهو من السمعيات التي وردت ظواهرها في القـــرآن الكـــريم وجاء الحديث عنها في سنة النبي ﷺ .

رابعاً ـ كلمة الصـــــور:

وردت مادة كلمة (ص و ر) في القرآن الكريم حوالي (عشر مرات)(١٢٢)، كذلك وردت في اللغة العربية، واصطلاحات ذوي الاختصاص وهو ما يحتاج بعض بيان على النحو الذي سيرد:

---

(١٢٠) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩ص١٢٤. ط: الـــدار التونســـية للنشر، تونس الطبعة الأولى ١٩٨٤هـ. وراجع للشيخ أحمد مصطفى المراغـــي ــ تفســـير المراغى ــ ج٢٩ص٥٣ : ط البابى الحلبي بمصر ــ الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م.

(١٢١) الدكتور غالب بن على عواجى ــ الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النارــ ج١ ص١٨٤. ط دار لينه للنشر. ط الأولى ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م.وراجع للدكتور ــ عمـــر سليمان الأشقرــ القيامة الكبـــرى ص٣١ ومـــا بعـــدها، ط: دار النفـــائس الأردن،الطبعـــة السابعة١٤١٨هـــ١٩٩٨م.

(١٢٢) راجع للأستاذ ــ محمد فؤاد عبدالباقي، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن"، (باب الصـــاد) ص٤١٦. وقد عبر القرآن الكريم عن النفخ في الصور بعبارات أخرى، منها: **الصيحة:** وهي

أ) في اللغة: وردت مادة الكلمة (ص و ر) في لغة العرب على معان، منها:

ـ المثال: تقول العرب هذه الصورة تشبه الأخرى، يريـدون أنهـا بـديل لهـا، ويقولون: تصورت الشيء مثلت صورته وشكلته في الذهن فتصور[١٢٣]، ومنه ما يتعلق بالمثيل حيًا كان أو ميتًا يستوي في ذلك صُـوَر المـوتى، وصُـوَر غيرهم[١٢٤].

ـ كما يطلق الصُور ويراد به المَيل سواء أكان بإرادة منه أم مجبرًا عليه حتـى قيل: رجل أصْوَر يريدون أنه مائل[١٢٥].

ـ كما يطلق الصُوُر على حُسن الصورة، وتمام الشارة، ومنه قول العـرب هـذا صور قائم يريدون أنه حسن في بناءه ومستوٍ من ناحية أطرافه[١٢٦].

ـ وقد يطلق الصُور ويراد به القَرْن الذي يتم استخدامه عند المنازلـة ويسـتدل عليه بقول الراجز:

نحـــن نَطَحْنـــاهُمْ غَـــداة الجَمْعَـــيْنْ نَطْحـــاً شـــديداً لا كـــنطح الصُّـــوْرَيْنْ[١٢٧]

الصوت المرتفع يقول سبحانه: ﴿ ما يَنْظُرونَ إلاّ صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّـمُونَ*فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوصِيةً وَلا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة يس: الآيتان (٤٩ـــ٥٠)]. **الصـاخّة :** يقول سبحانه:﴿ فَإذا جاءَتِ الصاخَّة * يَوْمَ يَفِرُ المَرْءُ مِنْ أخيهِ * وَأمّهِ وَأبيـهِ * وَصـاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِء مِنْهُمْ يَوْمَئِذ شَأنٌ يُغْنِيهِ ﴾[سورة عبس:الآيات(٣٣ـ٣٧)].، **الزجرة:** قـال تعالى: ﴿فَإنّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَة * فَإذا هُمْ بِالسّاهِرَة ﴾[سورة النازعات: الآيتان(١٣ـ١٤)].، **النقر:** قال تعالى:﴿ فَإذا نُقِرَ فِي النّاقُور* فَذلِكَ يَوْمَئِذ يَومٌ عَسير*عَلى الكافِرينَ غَيْرُ يَسـير﴾ [سورة المدثر:الآيتان(٨ـ٩)]. **الراجفة والرادفة.** يقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الراجِفَـة *= =تَتْبَعُهَا الرادِفة ﴾ [سورة النازعات:الآيتان(٦ـ٧)]. وسيأتي بيان هذه الألفاظ في ثنايا البحث كل فى موضعه.

(١٢٣) العلامة الفيومي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي"، (باب الصـاد مـع الواو) ص١٧٣.

(١٢٤) العلامة الجوهري، الصحاح، (حرف الصاد) ص٦٦٢.

(١٢٥) العلامة الفيروزآبادي القاموس المحيط. (باب الـراء فصـل الصـاد)ج١ص ٤٢٧.، ـ والصحاح للجوهري، (حرف الصاد) ص٦٦٢.

(١٢٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون (باب الصاد) ج١ص ٥٢٨، مجمـع اللغـة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة.

(١٢٧) ذكره العلامة الجوهري، الصحاح، غير منسوب ، حرف الصاد ص٦٦٢. وكـذا أورده الإمام السمين الحلبى، بدون نسبة، الدر المصون فـي علـوم الكتـاب المكنـون ـ ج٤ ص٦٩٣، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ـ ط: دار القلم، دمشق.

وقد أكد الإمام أبو حيان أن "الصُورُ هو القرن بلغة أهل اليمن واستشهد على ذلك بما مر من قول الشاعر"(١٢٨).

وكذا قال الإمام ابن حجر:" يقال إن الصـــور اســـم القـــرن بلغـــة أهـــل اليمن"(١٢٩).

ومحل الشاهد أن الصُورين هما القرون التي يُنطح بها ويتم تبادل تلـــك العملية بين الحيوان، ثم استعير في الإنسان ليكون دليلاً على القوة والتواصل عند الاقتتال.

وقد قرر صاحب التحرير والتنوير أن :" الصور: قرنُ ثور يُقَعَّر ويُجعـــل في داخله سداد يَسد بعض فراغه حتى إذا نفخ فيه نافخ انضغط الهواء فصـــوَّت صوتا قويا، وكانت الجنود تتخذه لنـــداء بعضـــهم بعضـــا عنـــد إرادة النفيـــر أو الهجوم"(١٣٠).

على أن الذي أنشغل به هو الصُور الوارد ذكره في الآيـــات القرآنيـــة، والأحاديث النبوية باعتبار أن ذلك من السمعيات التي يجب الإيمان بها، والتسليم بكل ما ذُكر عنها من غير ضغط على النصوص، أومحاولة القفز إلى معنـــى مـــن المعاني، والزعم بأنه المراد من قِبَل الله تعالى. أما لماذا؟

فلأن الصور من صنع الله، ولا يعلم حقيقته إلا هو جل علاه، فإذا حاول أحد القفز على ما في علم الله كان بعيدًا عن الأصول التي يجب أن تراعـــى عنـــد التناول للقضايا والأمور السمعية التي لابد فيها من التزام القواعد العامة.

وهذا ما التزمه جمع من المفسرين كالإمام الماتريدى (ت:٣٣٣هـ) ــ فقد قال بعد نقل الأقوال في المراد بالنفخ في الصُورــ:"لكنا لا نفسر شيئًا مما ذكر من النفخ والصور أنه كذا، ولا نشير إلى شيء أنه كذا، إلا إن ثبت شيء من التفسير عن رسول اللَّه ﷺ فيقال به وليس هو بشيء يوجب العمل به فيتكلف صـــحته أو

(١٢٨) الإمام أبو حيان ــ البحر المحيط ــ ج٤ص ٥٣٤.،وراجع للإمـــام القرطبـــى، الجـــامع لأحكام القرآن، ج٧ص٢٠.
(١٢٩) فتح البارى، ج١١ص ٣٦٨.
(١٣٠) الشيخ الطاهر بن عاشور ــ التحرير والتنوير ــ ج٢٩ص١٢٤.

سقمه، إنما هو شيء يجب التصديق به، فنقول بالنفخ والصور على ما جـــاء ولا نُفسر، واللَّه أعلم"(١٣١).

وتابعه صاحب الظلال (ت:١٣٨٥هـ) فقال: "ونحن نؤمن أن هناك نفخـــة في الصور وهو البوق تحدث بعدها هذه الأحداث. ولا نزيد في تفصيلها شيئا.لأنها غيب. ليس عندنا من دلائله إلا مثل هذه النصوص المجملة وليس لنا مصدر آخر لتفصيل هذا الإجمال. والتفصيل لا يزيد في حِكْمة النص شـــيئا، والجـــري وراءه عبث لا طائل تحته، إلا اتباع الظن المنهيّ عنه أصلا"(١٣٢).

والصور على هذا المعنى جسم خلقه الله تعالى على شكل أَرادَه سبحانه، وجرت به حكمته.

ب) في الاصطلاح:

وردت للصور على الناحية الاصطلاحية، جملة من التعريفـــات بعضـــها انصب على الفائدة المترتبة، أو الغاية المقصودة(١٣٣)، ومن ذلك:

قول العلامة الطبرى: "الصور هو قرن يُنفخ فيه نفختان: إحداهما لفنـــاء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل مَيْتٍ"(١٣٤).

وقال العلامة الراغب: "الصور مثلُ قَرْن يُنفخ فيه، فيجعل الله ســـبحانه ذلك سببًا به تعود الصُوَر والأرواح إلى أجسامها(١٣٥).

---

(١٣١) الإمام أبو منصور الماتريدي ــ تأويلات أهل السنة ــ ج ٨ص١٤٠. تحقيق: د. مجـــدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

(١٣٢) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القـــرآن ــ ج٦ص ٣٦٧٩. ط دار الشـــروق، بيـــروت، القاهرة ،الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ.

(١٣٣) الحق أن كل أفعال الله تعالى مقصودة ولا تجئ على ناحية غير ذلك،كما أنها لحكمة تقوم على العلم الصحيح والعمل النافع وهو الذي يتناسب مع اسم الحكيم وصفته جل علاه.﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: الآية (٣٢)] وقـــال الله ــ عز وجل لرسوله ــ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة النمل: الآية (٦)].

(١٣٤)الإمام محمد بن جرير الطبرى ــ جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١ ص ٤٦٢. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

(١٣٥) الراغب، المفردات ص٢٩٧.

وذكر الشيخ محمد نووي (ت:١٣١٦هـ): "أن الصور قرن من نور وفيه ثقوب على عدد الأرواح(١٣٦).

وذهب العلامة الباجوري (ت:١٢٧٦هـ) إلى أن الصُور قرن مـن نـور كهيئة البوق الذي يُزْمر به لكنه عظيم كعرض السماء والأرض(١٣٧).

وعلى هذا فهو تعريف للصور الغيبي بأمر مُعاش مشاهَد وهو القَـرْن، غير أن هذا التصوير ربما استفاده العلماء من ظاهر قوله ﷺ : حين جاءه أعرابي يسأله: (ما الصور؟ قال: قرن يُنْفخ فيه)(١٣٨).

وقد ذهب المحققون من العلماء إلى أن المراد بالصور أحد قولين أو هما معًا، بحيث يكون أي منهما دالاً على الآخر بطريق اللزوم، والاقتضاء(١٣٩).

الأول: هو أن الصور هو ذلك القرن الذي يُنفخ فيه، وصفته مذكورة في سائر السور القرآنية، وهو المروي عن أهل التحقيق من غير تأويل يخرجه عن المعنى الظاهر المتبادر إلى غيره(١٤٠).

---

(١٣٦) نور الظلام شرح على منظومة عقيدة العوام للسيد أحمد المرزوقـي ص١٧، ط الحلبـي الثانية ١٣٥٥هـ ـ١٩٣٦م.

(١٣٧) الشيخ إبراهيم ـ الباجوري حاشية على متن السنوسية في علم التوحيد ص٥٣، ط الحلبي ١٣٧٤هـ ـ١٩٥٥م وبالهامش تقريرات الشيخ شمس الدين محمد الإمبـابي، شـيخ الجـامع الأزهر.

(١٣٨) أخرجه الترمذي في سننه ـ أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في شأن الصـور، ج ٤ص ١٩٨ حـديث(٢٤٣٠) وقـال: "هـذا حـديث حسـن صحيح".الجامع الكبير، سنن الترمذي، للإمام: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨م. وأخرجه أبو داود في سـننه، كتـاب السُّنة، باب فى ذكر البعث والصور، ج٤ص ٢٣٦، حديث رقم: (٤٧٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، سنن أبي داود ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. وأخرجه أحمد في مسنده عن عبدالله بـن عمـرو، ج٦ ص٦١، حديث (٦٥٠٨)، ورواه الحاكم في المستدرك ج ٤ص ٥٦٠، وقال: "حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(١٣٩) كلزوم الشمس لضوء النهار في الأيام الصائفة، فإنه متى تنفس الصبح ظهرت الشـمس لزومًا، واقتضاء طبقًا لما وردت به السنن الإلهية، من جريان الشمس في فلكها لقوله تعالى:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس: الآية(٤٠)].

وقد رجح الإمام الطبرى (ت:٣١٠هـ) ذلك القول واعتبره هو الصحيح إذ يقول: "والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهتـــه، ينتظـــر متـــى يُـــؤمَر فينفُخ)[١٤١]، وأنه ﷺ قال: (الصور قرن يُنْفَخ فيه)[١٤٢].. [١٤٣].

كما رجح العلامة ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) القول بأن الصور هو القرن الذي يَنْفخ فيه إسرافيل ــ عليه السلام ــ واعتبر ذلك هو الصحيح[١٤٤].

وأكد ذلك الإمام ابن حجر(ت:٨٥٢هـ) فقال: "الثابـــت فـــي الحـــديث أن الصور قرن يُنفخ فيه"[١٤٥].

وكذا قال العلامة الألوسى (ت:١٢٧٠هـ): "الصور قرن يُنْفخ فيه كما ثبت في الأحاديث والله تعالى أعلم بحقيقته. وقد فُصِّلت أحوالَـــه فـــي كتـــب الســـنة. وصاحبه إسرافيل ــ عليه السلام ــ على المشهور"[١٤٦].

وقال الإمام ابن حجر:" اشتُهر أن صاحب الصور إسرافيل ــ عليه السلام ــ ونقل فيه الحليمي الإجماع""[١٤٧].

---

(١٤٠) صححه الرازي ومال إليه، راجع مفاتيح الغيب ج١٣ ص٣٤، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج٢ ص١٤٦.

(١٤١) أخرجه أحمد فى مسنده ــ ج ٣٢ص٩١حديث(١٩٣٤٤) قال الشيخ أحمد شاكر ــ حديث صحيح، مسند الإمام أحمد ــ تحقيق: أحمد محمد شاكر ط: دار الحديث ــ القاهرة الطبعـــة: الأولى، ١٤١٦هـــ.

(١٤٢) أخرجه الترمذي في سننه ــ أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رســـول الله ﷺ ــ باب ما جاء في شأن الصور، ج ٤ص ١٩٨ حديث(٢٤٣٠) وقـــال: "هـــذا حـــديث حســـن صحيح".

(١٤٣) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١١ص٤٦٣.

(١٤٤) تفسير ابن كثير، ج٢، ص١٤٦.

(١٤٥) الإمام ابن حجر العسقلانى ــ فتح الباري بشـــرح صـــحيح البخـــاري ــ ج٨ص٢٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،محب الدين الخطيب ،ط ،دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩ه.

(١٤٦) الإمام الألوسى ــ روح المعانى ــ ج٤ص١٨٠.

(١٤٧) الإمام ابن حجر العسقلانى ــ فتح الباري بشرح صـــحيح البخـــاري ــ ج١١ص٣٦٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،محب الدين الخطيب ،ط ،دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩ه.

وهذا الرأي له أنصار، ومعه متابعات، وعليه صِيغتْ أحكام وبات المُنكر للرأي غير موفق لدى خصومه.

الثاني: هو أن الصُوُر اسمُ جمع كلفظ شعب وجيش، ويكون المراد منـــه هو أَفراده، وبناء عليه ذهب أصحابه إلى أن الصُور: جمع صُورة والـــنفخ فيـــه عبارة عن النفخ في صُوَر الموتى حتى تعود إلى الحيـــاة، وهـــو تأويـــل ظـــاهر استنكف الرازي صدوره، واعتبره خطأ لا يُقبل من قائله(١٤٨).

وبذا يتضح أن الناس في الصور من حيث المعنى الاصطلاحي فريقان:

أحدهما: أصحاب المنقول الظاهر، وهو أن الصُور حقيقة كالقرن يتم الـــنفخ فيـــه عن طريق إسرافيل ــ عليه السلام.

والثاني: أصحاب التأويل، وهم الذين ذهبوا إلى أن الصُوُر ليس علـــى الحقيقـــة، وإنما صُوَرٌ تدور بينها أرواح الموتى فتَحيى.

وقد ذهب الفخر الرازى إلى تخطئة هذا الرأي كما ذهب غيره، وانتهـــى إلـــى أن الصُور ليس جمع صورة، وإلا لقال سبحانه (فيها) بدل (فيه) وارتكاب التأويـــل يجعـــل الكلام من باب التمثيل ظاهر في إنكار أن يكون هناك صُور حقيقة، وهو خلاف ما نطقت به الآيات(١٤٩).

لكن الإمام ابن عطية (ت:٥٤٢هـ) وجَّه قول من قال أن المراد بالنفخ فى الصُـــورُ هو النفخ فى صُوَر الخلائق بأن ذلك مخصوص بنفخة البعث فقال: "ومن يقول الصُّـــورِ جمع صورة، فإنما يتوجه قوله في نفخة البعث"(١٥٠).

فضلا عن ذلك فإن الإمام الألوسى (ت:١٢٧٠هـ) رأى إمكان الجمع بـــين الـــرأيين فقال: "لا تنافي بين النفخ في الصُور بمعنى القرن الذي جاء في الخبر ودلت عليه آيـــات أخر، وبين النفخ في الصُوَر جمع صورة فقد جاء أن هذا النفخ عند ذاك"(١٥١).

أخلُص مما سلف ذكره إلى أن النفخ فـــي الصـــور الـــذي وردت بـــه النصـــوص القرآنية، حقيقة شرعية، وهو في ذات الوقت مسألة غيبية عندما يُصَنف القول فيه يجئ

(١٤٨) الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ــ ج١٣ ص٣٤.
(١٤٩) الإمام الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج١٣ص ٢٨.
(١٥٠) الإمام ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤ ، ص٥٤١.
(١٥١) الإمام الألوسى ــ روح المعاني ج٩ص٢٦٣.

على ناحية سمعية، ومن البين أيضا أن تناولى له بحسب مجيئه في الآيات القرآنية هـــو المنهج الذي أعتمد عليه في التصنيف، والتناول، وهى مسألة لابد فيهـــا مـــن رعايـــة الأحكام المنهجية، ومتابعة الآيات القرآنية، فذلك أسلم لمن يحاول، تقديم دراسة علميـــة عن النفخ في الصور طبقًا للدراسة التكاملية.

الفصل الثاني
نفخ انتهاء الـــــكون الدنيوي

وردت آيات قرآنية تتحدث عن النفخ في الصور علـــى وجـــه الإجمـــال بعضها ظاهر منه ارتباطه بيوم القيامة، وبعضه آخذ في الاعتبار كيفيـــة القيـــام بالنفخ، غير أن بعض الدارسين ركز على عدد النفخـــات آخـــذًا بظـــاهر بعـــض الأحاديث(١٥٢).

ونحن في هذا البحث لا نحاول مجاراة من سبق من ناحية العـــدد ومـــا يستتبع ذلك، وإنما غايتنا الاستدلال بالنفخ على قـــدرة الله فـــي الكـــون ابتـــداءً وانتهاءً، ثم الابتداء الثاني، وما يترتب عليه طبقًا لما جاء من عنده جل علاه؛ لأن ذلك من المسائل الغيبية التي يجب تفويض الأمر فيها من حيث الحقيقة إلـــى رب البرية.

كما نستدل به على قدرة الله تعالى في البعث وهو أهون عليه حتى نُلْقم أصحاب النفوس المتشككة ألف حجر في أفواههم بُغية أن يعودوا إلى الصواب، أو يغلقوا تلك الأفواه التي تَهرِف(١٥٣) بما لا تعرف، وتُنكر من مخلوقات الله ما قامت

---

(١٥٢) وربما استفاد البعض عدد النفخات من ظواهر الآيات. فمنهم من قال إنها واحدة واحـــتج بقوله تعالى:﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[سورة يس:الآية(٢٩)].ومنهم من يقول بالنفختين؛ يحتج بقوله تعالى: ﴿يَـــوْمَ تَرْجُـــفُ الرَّاجِفَـــةُ * تَتْبَعُهَـــا الرَّادِفَـــةُ﴾[ســـورة النازعات:الآيتان(٦،ـــ٧)]. أخبر أنه يُردف الأولى غيرها، ويحتج بقوله تعالى أيضًا:﴿وَنُفِـــخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيـــهِ أُخْـــرَى﴾ [سورة الزمر:الآية(٦٨)].ومنهم من يقول بالنفخات الثلاث ويقول: الأولى للفـــزع، والثانيـــة للصعق ، والثالثة للإحياء، ومنهم من يقول بالثلاث إلا أنه يجعل ذلك كله بعد الموت:أحـــدها للفزع في القبور، والثانية: للإحياء فيها، والثالثة: للإخراج منها والنشر، ويقول هذا القائـــل بعذاب أهل القبر من النفخة الثانية إلى النفخة الثالثة؛ وعلى ذلك رويت أخبار في ذلـــك، ـــ قال الماتريدى: فإن ثبتت فهو ذاك وإلا نقف فيه". راجع تفسير الماتريدي (تـــأويلات أهـــل السنة) ج ٨ ص ١٤٠.

(١٥٣) الهَرْف كالهذيان بالثناء على الإنسان إعجابا به.معجم مقاييس اللغة، لابن فـــارس (بـــاب الهاء والراء وما يثلثهما) ج٦ ص٤٨، وانظر لسان العرب ـــ (فصل الهـــاء)ج ٩ص ٣٤٧، يقولون:"لا تَهْرف بما لا تعرف "ويُضرب المَثَل: لمن يتعدَّى في مدح الشَـــيء قبـــل تمـــام=

الأدلة عليه، وفي نفس الوقت نحاول إعادة النفوس إلى رشدها حتى تزن الأمور بميزان صحيح، وتضعها في نصابها، وسأتناول في هذا الفصل ما يلي:

أولاً ـ نفخة الاستعداد للهدم:

وهي التي تكون تمهيدًا لهدم الكون وتغيير معالمه وذلك ابتـــداء اليـــوم الآخر، وانتهاء اليوم الأخير(١٥٤)، ومن الشـــواهد عليـــه قولـــه تعـــالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ

=معرفته. مجمع الأمثال للميداني ، ج٢ص ٢١٩، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ـــ ط: دار المعرفة ـــ بيروت، لبنان.

(١٥٤) **اليوم الأخير:** اصطلاح يراد به اليوم الأخير من حياة كل فرد استقلالاً بما يكون له فيه، كما يستعمل في آخر يوم من أيام الدنيا، إذ بعده لا تطلع شمس أبدًا، وهو اليوم الأخير فـــي مقابلة اليوم الأول من أيام الدنيا، أو أيام الفرد التي عاش فيها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ قالت: كان رجال من الأعراب جفـــاة، يـــأتون النبـــي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»، قال هشام: يعني موتهم. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ج٤ ص١٩٣، حديث (٦٥١١). راجع للدكتور عمر سليمان الأشقر، اليوم الآخـــر، القيامة الصغرى، ص١١، ط دار النفائس الأردن، الرابعة ١٤١١هـ ـــ١٩٩١م.

أما اليوم الآخر: فهو المقابل للحياة الدنيا، ويطلق عادة على الفرد من لحظة الوفاة، فمتـــى مات قامت قيامته، وهذا اليوم يستمر معه في الحياة البرزخية، ثم يمتد إلى كل من البعـــث، والنشر، والحشر، ودخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وسمى باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا ،بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا ،لأنه ليس منها حتى يكون آخرها، وسمى بيـــوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدى خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم،وله نحو ثلاثمائة اسم ، والظواهر النقلية على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾[سورة التوبة:الآية(١٨)]، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـــهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[سورة الأحزاب: الآية(٢١)]. وقوله جل جلاله :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِـــنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[سورة النساء:الآية)٨٧)]، ومحل الشاهد وجود اليوم الآخر فـــي مقابـــل اليـــوم الأول، وهو الحياة الدنيا.راجع للشيخ الباجورى، "حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد" ص ٢٨٨.تحقيق الدكتور على جمعه، ط دار السلام، القاهرة، ط: الأولى١٤٢٢هـ ـــ٢٠٠٢م.

قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١٥٥).

قال العلامة الطبرى فى معنى هذه الآية:"إن الله تعالى ذِكْره أخبرَ أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض دون كل ما سواه، معرِّفًا من أشرك به من خلقه جهلَه في عبادة الأوثان والأصنام، وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها ، ومحتجًّا عليهم في إنكارهم البعثَ بعد الممات والثوابَ والعقاب، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداءً، وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه ...، قوله﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ فإنه خُصّ بالخبر عن ملكه يومئذ، وإن كان الملك له خالصًا في كل وقت في الدنيا والآخرة، لأنه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعي له، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة، فأذعن جميعهم يومئذ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل"(١٥٦).

ومحل الشاهد أن الله تعالى إذا أراد إنهاء العالم الذي نعيش فيه لحكمة يعلمها جل علاه، ومضى بها قضاؤه، فإن قدرَه ينفذ فيها تعبيرًا عن القول الأجَلّ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٥٧)، كما أن الله سبحانه وتعالى قد جرت حكمته أن ربط أمره

(١٥٥) سورة الأنعام: الآية (٧٣).
(١٥٦) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١١ص٤٦١.
(١٥٧) ورد قوله سبحانه: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ فى ثمان مواضع من القرآن الكريم. منها قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة:الآية(١١٧)]،وقوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران:الآية(٥٩)]،وقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[سورة غافر:الآية(٦٨)].

بإرادته حتى في الإيجاد والإعدام، وذلك من الحِكَم الإلهية يدل عليه ظاهر قولـــه تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٥٨)

قال الفخر الرازى (ت:٦٠٦هـ) في هذه الآية:" بيان إمكان الحشر والنشر وكونه تعالى مُوجدا للأشياء ومُكَونا لها لا يتوقف على سبق مـــادة ولا مُـــدة ولا آلة، وهو تعالى إنما يُكونها بمحض قدرته ومشيئته، ولـــيس لقدرتـــه دافـــع ولا لمشيئته مانع فعبر تعالى عن هذا النفاذ الخالي عن المعارِض بهذه الآيـــة ، وإذا كان كذلك، فكما أنه تعالى قَدَر على الإيجاد في الابتداء وجب أن يكون قادرا عليه في الإعادة، فثبت بهذين الدليلين القاطعين أن القول بالحشـــر والنشـــر والبعـــث والقيامة حق وصدق، والقوم إنما طعنوا في صحة النبوة بناء على الطعن في هذا الأصل، فلما بطل هذا الطعن بطل أيضا طعنهم في النبوة. والله أعلم"(١٥٩).

ومثلـــه قولـــه تعـــالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٦٠).

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٦١).

ذكر الإمام الماتريدى (ت:٣٣٣هـ) أن المعنى: "إذا قضى الله أمرًا بتكوين أحدٍ، أو بتكوين ــ فإنما يقول له:﴿كُن﴾، لا يثقل عليه، ولا يصعب خلق الخلـــق وتكـــوينهم؛ كقولـــه:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(١٦٢)أي:خَلْقُ الخلق كلهم ابتداء، وبعثهم بعد الموت كخلق نفـــس

(١٥٨) سورة النحل: الآية (٤٠).
(١٥٩) راجع للإمام الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٢٠ص٢٠٧.
(١٦٠) سورة يس: الآية (٨٢).
(١٦١) سورة آل عمران: الآية (٤٧).
(١٦٢) سورة لقمان: الآية (٢٨).

واحدة؛ أن يقول:﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ وإنَّمَا يثقل ذلك على الخلق ويصعب؛ لموانـــع تمنعهم وأشغال تشغلهم، حاشا اللَّه ــ سبحانه وتعالى ــ عن أن يشغله شـــغل، أو يمنعه مانع، أو يُحجب عليه حجاب.وقولـــه:﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾: ذَكر ــ واللَّه أعلم ــ هذا الحرف؛لأنه ليس في كلام العرب حرف أو جـــزء منـــه يعبر فيفهم معناه، لا أن كان منه ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ كـــاف أو نـــون، أو حـــرف، أو هجاء، أو صفة يفهم ويعرف حقيقته، أو يوصف هو بمعنى من معاني كلام الخلق أو صفاتهم، أو يكون لتكوينه وقت أو مُدة أو حال، أو يكون تكوين بعد تكـــوين، على ما يكون من الخلق، إنما هو أوجز حرف يُفهم معناه، بالعبارة إخبار منه ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ الخلق عن سرعة نفاذ أمره ومشيئته"(١٦٣).

وقرر الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) أن:"المراد من هذه الكلمة سرعة نفـــاذ قُدْرة الله في تكوين الأشياء، وأنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربـــة ،ونظيره قوله تعالى عند وصـــف خلـــق الســـموات والأرض:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(١٦٤) من غير قولٍ كان منهما لكن على سبيل سرعة نفاذ قدرتـــه فـــي تكوينهما من غير ممانعة ومدافعة"(١٦٥).

وذهب العلامة أبو السعود (ت:٩٨٢هـ) إلى أن المعنـــى: "إذا أراد الله ــ عز وجل ــ شيئا ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي أُحدث فيَحـــدث ولـــيس المراد به حقيقة الأمر والامتثال وإنما هو تمثيل لسهولة تأَتِّي المقدورات بحســـب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو عَلَم في الباب مـــن طاعـــة المأمور المطيع للآمر المطاع وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلـــويح لحجـــة أخـــرى

(١٦٣) الإمام الماتريدى ــ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ،ج١ص٥٤٨.
(١٦٤) سورة فصلت: الآية (١١).
(١٦٥) الإمام فخر الدين الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٤ص٢٦.

لإبطال ما زعموه بأن اتخاذ الولد شأن مَن يفتقر في تحصيل مـــراده إلـــى مَبـــادٍ يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل أطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك"(١٦٦).

وظاهر من الآية أن النفخ في الصور لابتداء الهدم جاء فيه لفظ يوم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾، وهو من الزمان المقدر في علم الله الأزلي نظرًا لتعلقه بمجريات اليوم الآخر، وهذه النفخة يصح أن توصـــف بأنها الأولى عند من يُرتب أحداث الهدم عليها، ولكنها في ذات الوقت دالة علـــى أن الكون مصنوع، وأن سنن الله تعالى الاطرادية فيه قائمة .عندئذ تبـــدأ معـــالم ثبوته تتهاوى، فلا السماء خالية من الشقوق، ولا الأرض بعيدة عن أن تميد، كما أن البحار تكون قد هُيئت للتسجير حتى إذا تم أمرها كان شرار الخلـــق أول مـــن يكتوي بنارها، وفي الحديث الشريف: عن النبي ــ ﷺ ــ، أنـــه قـــال:(لا تقـــوم الساعة، إلا على شرار الناس)(١٦٧).

وهذه النفخة لها من الدلالات ما لها، وتحمل من العظات ما تحمله، فهي من الناحية التحليلية دالة على أن الكون مملوك لله، وأن النافخ مَلَك من ملائكـــة الله، وأن الكون من صنع الله، وما دام مرد الكل إلى الله، فلا يستعصى شيء عليه ــ جل علاه ــ وفيه رد على الملحدين الذين يظنون أن الحياة الدنيا لا تنقضـــي، وإنما تتم فيها الأكوار والأدوار وكل شيء قائم بلا نهاية(١٦٨).

---

(١٦٦) العلامة أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتـــاب الكـــريم ــ ج ١ص ١٥١، ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(١٦٧) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الفتن وأشـــراط الســـاعة، بـــاب قـــرب الســـاعة، ج٤ ص٢٢٦٨، حديث (٢٩٤٩).

(١٦٨) الأدوار هي: قيام كل فرد بدوره في النظام الحيوي، فإذا انتهى دوره انتهى أمره وأعقبه غيره، أما الأكوار: فهي حركة الليل والنهار والشمس والقمر وأنها ذاتية، وقد رد الله تعـــالى عليهم جميعًا بأنه هو الذي يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليـــل، قـــال تعـــالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾، [سورة الزمر: الآية (٥)].

ومن ملامح ذلك الاستعداد للهدم هو أمرُ الله تعالى لإســـرافيل – عليـــه السلام– بالتقام البوق حتى يأمره جل شأنه بالنفخ، واستعداد الكائنـــات علويهـــا وسفليها لتنفيذ ما يأمرها ربها.

وقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن أن الله تعـــالى خاطـــب الســـماوات والأرضين عند خلقها، وقال لها: إئتيا طوعًا أو كرهًا، قالتا أتينا طائعين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(١٦٩).

قال الإمام الطبرى (ت:٣١٠هـ) فى معنـــى الآيـــة:" قـــال الله للســـماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأَطْلعي ما خلقـــتُ فيـــك مـــن الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقتُ فيك من الأشـــجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ جئنا بما أحـــدَثْت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك"(١٧٠).

والمعنى: أن الله تعالى لما تعلقت قدرته بخلق الســـماء والأرض وهـــى على هيئة دخان فوُجدت، وخلقُه للسموات والأرض على وفق إرادته ــ هيِّن عليه بمنزلة ما يقال للشيء: أُحضر ــ راضياً أو كارهـــاً ــ فيطيـــع. لـــذا أمَرَهُمَـــا ــ سبحانه ــ أن يستجيبا لأمره، وأن ينفعلا لفعله طائعتين أو مكرهتين. قالتا أتينـــا مستجيبتين لك مطيعتين بما فينا، مما تريد خلقه من الملائكـــة والإنـــس والجـــن جميعا مطيعين لك"(١٧١).

وهو سبحانه وتعالى أمر الأرض أن تبلع مائها فبلعت، والسماء أن تُقلع فأقلعت، والماء أن يغيض فغاض، قـــال تعـــالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ

(١٦٩) سورة فصلت: الآية (١١).
(١٧٠) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج٢١ص٤٤٠.
(١٧١) راجع تفسير ابن كثير ج٧ص١٦٦.والمنتخب في التفسير ــ ص٧٠٨.

وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١٧٢).

ذكر الإمام الزمخشرى (ت: ٥٣٨هـ) "أن الله ــ تعالى ــ نـــادى الأرض والسماء بما ينادَى به الحيوان المميِّز على لفظ التخصـــيص والإقبـــال عليهمـــا بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهـــو قولـــه:﴿ يَٰٓأَرۡضُ ﴾، ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثـــم أمرهما بما يؤمر به أهـــل التمييـــز والعقـــل مـــن قولـــه: ﴿ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ و ﴿أَقۡلِعِي﴾من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهـــذه الأجـــرام العظام منقادة لتكوينه فيما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عُقـــلاء مميـــزون قـــد عَرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقـــدور، وتبينـــوا تحـــتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال لـــه والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء ... ومجيء أخباره على الفعـــل المبنـــى للمفعـــول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مُكَوِّن قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يُشارَك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي، ولا أن يقضى ذلك الأمر الهائلَ غيرُه، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره، ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقَّصُوا لها رؤسهم، لا لتجانس الكلمتين، وهما قوله:﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ و﴿أَقۡلِعِي﴾ وذلك وإن كان لا يُخلى الكلام من حسن، فهو كغير الملتَفت إليه بإزاء تلك المحاسن التـــي هـــي اللب وما عداها قشور"(١٧٣).

---

(١٧٢) سورة هود: من الآية (٤٤).

(١٧٣) الكشاف عن حقائق التنزيـــل ــ ج ٢ص ٣٩٧ ، وانظـــر روح البيـــان ــ للبورســـوى ج٤ص١٣٤.

ونفخة الاستعداد للهدم فيها تمهيد وتهيئة لكافة تلك الكائنات حتى ينفـذ أمر الله تعالى من غير إرجاء، أو تأخير فضلاً عن أن يكون حمل للأمـر الإلهـي على أي معنى غير متبادر، ومن ثم فنفخة الاستعداد للهدم فيها تهيئـة، وإبـلاغ لكافة الكائنات بالأمر الإلهي على سبيل العرض والإعـلام المشـار إليـه بقولـه تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾(١٧٤).

والمعنى أن:" هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبـال قـد انقادت لأمر الله ــ عز وعلا ــ انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات،وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها، حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعـة، كمـا قـال:﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(١٧٥).وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلـك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، والمراد بالأمانة: الطاعة، لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء"(١٧٦).

وبهذا تكون نفخة الاستعداد للهدم قد جاءت سابقة على غيرهـا طبقًـا لورودها في الآيات القرآنية، وهو ما تتسم به الدراسة التي أقوم بها.

ثانياً ــ نفخة الهـــدم الكلي:

ومعناه أن البناء الكوني الذي خلقه الله على الصـورة التـي نعرفهـا، وجاءت النصوص الشرعية متناولة إياها، إذا أمر الله مَلَك الصور بأن ينفخ فيـه للهدم، فإن الأمر لا يختلف أوله عن آخره، من حيث إن الله سبحانه وتعالى يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور حتى يُصعق جميع الأحياء إلا مـن شـاء الله لقولـه

(١٧٤) سورة الأحزاب: الآية (٧٢).
(١٧٥) سورة فصلت: الآية (١١).
(١٧٦) الإمام الزمخشرى ــ الكشاف عن حقائق التنزيل ــ ج ٣ص ٥٦٤.

تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾(١٧٧).

ومحل الشاهد أن نفخة الهدم قد تكون مسبوقة بنفخة الصعق باعتبار أن نفخة الهدم تشمل جميع الأنظمة القائمة التي نعلمها والتي لا نعلمها، أما نفخة الصعق فتكون في كل ذي روح، إذ لفظ الصعق هو المناسب معه.

وقد اعتبر الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) أن معنى الآية يرشد إلى الهدم، فقال: "المقصود أن الحق سبحانه هو المتولي لإبقاء السموات والأرضين على وجوه العمارة في هذا الوقت، وهو المتولي لتخريبها وإفنائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الإيجاد والإعدام، وتنبيه أيضا على كونه غنيا على الإطلاق، فإنه يدل على أنه إذا أراد تخريب الأرض فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد إفناءها، وذلك يدل على كمال الاستغناء، وأنه ــ سبحانه ــ وإنما خصص تلك بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته في الإيجاد عند عمارة الدنيا، فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا... وأنه تعالى لما قدَّر كمال عظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريقة أخرى تدل أيضا على كمال قدرته وعظمته، وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لأن نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم"(١٧٨).

وبذا تبين أن نفخة الهدم إنما تكون مسبوقة بنفخة الصعق، وقد فهم كثير من العلماء نفخة الهدم من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ

(١٧٧) سورة الزمر: الآية (٦٨).
(١٧٨) الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٢٧ص١٨.

وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾[١٧٩].

يقول الإمام الفخر الرازى (ت:٦٠٦هـ):"المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الأولى لأن عندها يحصل خراب العالم"[١٨٠].

وقد نبه الشيخ السعدى (ت:١٣٧٦هـ) إلى أن هذه النفخة بها هدم الكون فقال: "﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: فتتت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها.وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتَهِي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها"[١٨١].

ومحل الشاهد أن حمل الأرض وما عليها، لا يستغرق وقتًا، كما أن دكها إنما هو اختلاط أجزائها، وتداخلها في بعضها، وهو المتبادر من قوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾[١٨٢]، وهناك طباق قائم بين قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ وهو ما يؤكد النسق الإعجازي في الترتيب القرآني والتصوير الذي لا يجارَي في الحديث عن عالم غيبي لا يعرف حقيقة ما يدور فيه إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١٧٩) سورة الحاقة: الآية (١٣).
(١٨٠) الإمام الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٣٠ص٦٢٥.
(١٨١) الشيخ السعدى ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ ج١ص٨٨٣.
(١٨٢) سورة الحاقة: الآية (١٤).

يقول الإمام ابن كثير(ت:٧٧٤هـ) "إن الله تعالى أخبر عن أهـوال يـوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصـعق مـن فـي السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لـرب العـالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة. وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة لأن أمـر الله لا يخالَف ولا يمانَع، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد" (١٨٣).

ويذكر العلامة أبو السعود (ت:٩٨٢هـ) مناسبة هذه الآيـة لأول سـورة الحاقة فيقول:" ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ شروع في بيان نفـس الحاقة وكيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكـذبيها ... والمـراد بهـا النفخة الأولى التي عندها خراب العالمِ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ ﴾ أي قلعـت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الـريح العاصـفة ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ فضربت الجملتان إثر رفعهما بعضـها بـبعض ضـربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا ،وقيل: فبسطتا بسـطة واحـدة فصارتا قاعا صفصفا لاترى فيه عوجا ولا أمتا (١٨٤) فيومئذ وقعت الواقعة وقامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة وتصبح السماء يومئذ ضعيفة مسـترخية بعد ما كانت محكمة"(١٨٥).

والمعنى "إذا نُفخ في الصور نفخة واحدة، تبع هذه النفخة تلك الحركـة الهائلة وهو مشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها.. مشهد مروع حقا. هذه الأرض التي يجـوس الإنسـان خلالهـا آمنـا

(١٨٣) الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٨ص ٢١١.
(١٨٤) يدل عليه قوله تعالى في بيان حال الأرض والجبال يوم القيامة:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا * فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴾[سـورة طـه الآيات(١٠٥ــ١٠٧)] والقاع: هو المستوي من الأرض. والصفصف تأكيد لمعنى ذلك ، ولا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية، ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا.راجع ــ تفسير ابـن كثير .ج٥ص٣١٦.
(١٨٥) الإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج٩ص ٢٣.

مطمئنا، وهي تحته مستقرة مطمئنة. وهذه الجبال الراسية الوطيدة الراسخة التي تهول الإنسان بروعتها واستقرارها.. هذه مع هذه تحمل فتدك كـــالكرة فـــي يـــد الوليد..إنه مشهد يَشعر معه الإنسان بضآلته وضآلة عالَمه إلى جانب هذه القدرة القادرة، في ذلك اليوم العظيم..فإذا وقع هذا. إذا نفخ في الصور نفخـــة واحـــدة، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة.. فهو حينئذ الأمر الذي تتحـــدث عنـــه السورة:﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾..والواقعة اسم من أسمائها كالحاقة والقارعـــة. فهي الواقعة لأنها لا بد واقعة. كأن طبيعتها وحقيقتها الدائمة أن تكـــون واقعـــة! وهو اسم ذو إيحاء معين وهو إيحاء مقصود في صدد الارتياب فيها والتكذيب!

ولا يقتصر الهول على حمل الأرض والجبال ودكها دكة واحدة، فالسماء في هذا اليوم الهائل ليست بناجية:﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾..

ونحن لا ندري على وجه التحقيق ما السماء المقصودة بهذا اللفظ فـــي القـــرآن. ولكن هذا النص والنصوص الأخرى التي تشير إلى الأحداث الكونية في ذلك اليوم العظيم كلها تشير إلى انفراط عِقد هذا الكون المنظور، واختلال روابطه وضوابطه التي تُمسك به في هذا النظام البديع الدقيق، وتناثر أجزائه بعد انفلاتها مـــن قيـــد الناموس...ونحن نكاد نشهد هذه المشاهد المذهلة، من خلال النصوص القرآنيـــة الجازمة وهي نصوص مجملة توحي بشيء عام ونحن نقف عنـــد إيحـــاء هـــذه النصوص، فهي عندنا الخبر الوحيد المستيقَن عن هذا الشأن، لأنها صادرة مـــن صاحب الشأن، الذي خلق، والذي يعلم ما خلق علم اليقين. نكـــاد نشـــهد الأرض وهي تُحمل بجبالها بكتلتها هذه، الضخمة بالقيـــاس إلينـــا، الصـــغيرة كالهبـــاءة بالقياس إلى الكون، فتُدك دكة واحدة ونكاد نشهد السماء وهي مشـــققة واهيـــة والكواكب وهي متناثرة منكدرة. كل ذلك من خلال النصـــوص القرآنيـــة الحيـــة، المشخصة المشاهد بكامل قوتها كأنها حاضرة"(١٨٦).

(١٨٦) الأستاذ سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج٦ص ٣٦٧٩. ط دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر١٤١٢هـ.

وبهذا تكون نفخة الهدم قد تناولت الأساسيات التي يقوم عليهـا بنـاء الكون بما يؤكد أن قدرة الله تعالى عاملة لا يمنعها مانع، ولا يحـدها حـاد، وأن أمره تعالى نافذ، وقضائه قائم، وكل شيء عنده بمقدار، وما يـدور فـي عـالم الشهادة يدور مثله في عالم الغيب، لأنه وحده الكبير المتعال، قال تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾(١٨٧).

ثالثاً ـ معالم هـــدم الأساسيات:

ذكرت آيات القرآن الكريم أن نفخة الهدم تصاحبها أمارات وتحيط بهـا علامات، وتقترن بأحداثها أحداث كبيرة مؤلمات، تدفع العقل الواعي إلى تأملهـا حينا بعد حين، ثم يعلن بأعلى صوته سبحان مالك الملك والملكوت بـارئ الأرض والسماوات، ومن تلك المعالم:

ـ توقف عالم الشهادة:

خُلق عالم الشهادة محكوماً بجملة من النواميس الإلهية منها: أنه عـالم مرئي مشاهد تجري على جميع جزئياته أحكام الحس والمشاهدة طبقًا لما خلق الله من ملكات وآلات لدى المفكر الواعي، وقد نص القرآن الكريم على أنّ النفخ فـى الصور تتزامن معه حوادث كونية يضمّحل فيها النظام الكـوني وينهـار، وهـذه الحوادث منها:

١ـ اختلال السماء:

يحكي القرآن الكريم عن حوادث تقع في السماء عند النفخ فى الصـور لقيام الساعة، ويعبر عنها بالألفاظ الآتية:

(١٨٧) سورة الرعد: الآية (٨).

١ــ انشقاق السماء، ويـــدل عليه قوله تعـــالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾[١٨٨] يقول الإمام الطبرى: "إذا الســماء تصــدّعت وتقطَّعت فكانت أبوابًا"[١٨٩]. و"هذا الانشقاق إما تشققها بالغمام أو انفتاحهــا أبوابا"[١٩٠].﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا ﴾ استمعت، مستجيبة لأمر ربها.

يقول الإمام الفخر الرازى (ت:٦٠٦هـ):"والمعنى أنه لم يوجد في جِــرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق أجزائها، فكانت فــي قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذعن، ولم يمتنع فقوله:﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [١٩١]يدل على نفاذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلا، وقوله هاهنا: ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا ﴾ يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصــلا، ﴿ وَحُقَّت ﴾ وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وذلك لأنه جسم، وكل جسم فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية، وكل ما كان كذلك، كان ترجيح وجوده على عدمه أو ترجيح عدمه على وجوده، لا بد وأن يكون بتــأثير واجب الوجود وترجيحه فيكون تأثير قدرته في إيجاده، وإعدامه، نافذا ساريا من غير ممانعة أصلا، وأما الممكن فليس له إلا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلا للوجود تارة، وللعدم أخرى من واجب الوجود"[١٩٢].

---

(١٨٨) سورة الانشقاق:الآيتان(١ــ٢).
(١٨٩) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج٢٤ص٣٠٩.
(١٩٠) الإمام ابن جزى ــ التسهيل لعلوم التنزيل ــ ج٢ص٤٦٤.
(١٩١) سورة فصلت:من الآية(١١).
(١٩٢) الإمام الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٣١ص ٩٦.

ومثله قوله عز وجل: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾(١٩٣)، مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد مـا كانـت محكمـة شـديدة(١٩٤)، وانشقاقها وصيرورتها وردةً كالدهان كما قال سـبحانه:﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾(١٩٥).

يقول الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "تـذوب كمـا يـذوب الـدردي(١٩٦) والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بهـا، فتـارة حمـراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم"(١٩٧).

ومن أحوال السماء بعد نفخة الهدم، إنفطار السماء، كما قال سـبحانه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾(١٩٨) انشقَّت وتفتَّحت أبوابا كما قال تعـالى:﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾(١٩٩)، ومثله قوله سـبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾(٢٠٠) وإنفراجها، قال سبحانه:﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾(٢٠١)، وطيها كما قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾(٢٠٢).

---

(١٩٣) سورة الحاقة:الآية(١٦).
(١٩٤) الإمام الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ج٣٠ص٦٢٥.
(١٩٥) سورة الرحمن:الآية(٣٧).
(١٩٦) الدردي :ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان. المعجم الوسيط ــ (باب الدال) ص٢٧٨.
(١٩٧) الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ج٧ص٤٩٨.
(١٩٨) سورة الانفطار:الآية(١) .
(١٩٩) سورة النبأ:الآية(١٩).
(٢٠٠) سورة الفرقان:الآية (٢٥).
(٢٠١) سورة المرسلات:الآية(٩).
(٢٠٢) سورة الأنبياء:الآية(١٠٤).

إلى غير ذلك من الآيات التي تصور لنا مصـير السـماء عنـد نفخـة الهدم[٢٠٣]، وقيام الساعة بما فيها من حوادث تقضي على حياة الكون ونظامـه ، فالسماء التي كانت سقفا محفوظا ،كمـا قـال سـبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٢٠٤]، تنشق وتنفطر وتنفرج وتنطوي كطـي السجل للكتب، وتمور وتضطرب وتتموج وتأتي كالصُفْر المذاب وتـأتي بصـورة دخان كأنّها وردة كالدهان، وكأنّ السماء كشطت وأزيلت وتمددت، إلى غير ذلـك من الأحوال المتعاقبة التي تطرأ على السماء.

٢ـ اختلال المجموعة الشمسية:

من معالم نفخة الهدم اختلال نظام المجموعة الشمسية بما يحتويه مـن شمس ،وقمر وكواكب تبعا لاختلال نظام السماء.

فالشمس التى خلقها الله آية[٢٠٥] وضـياء للنـاس[٢٠٦] تُلَـف ويُمحِـىَ ضوؤها. كما قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[٢٠٧].

---

(٢٠٣) تحدثت آيات القرآن الكريم عن أحوال السماء يوم القيامـة حيـث تمور،وتتبـدل،وتكون كالمُهل يدل عليه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[سورة إبراهيم:الآية(٤٨)] ، وقوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَـوْراً ﴾ [سـورة الطور:الآية(٩)]، وقوله سبحانه:﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ [سورة المعارج:الآية(٨)].

(٢٠٤) سورة الأنبياء:الآية(٣٢).

(٢٠٥) ذكرت الشمس فى القرآن الكريم حوالى عشرين مرة منها قوله تعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْـلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّـاهُ تَعْبُدُونَ﴾[سورة فصلت :الآية(٣٧) ،وقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[سورة يونس:الآية(٥)]. وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْـلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَـيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[سورة الإسراء:الآية(١٢)].

(٢٠٦) قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[سورةيونس:الآية(٥)].

(٢٠٧) سورة التكوير:الآية(١).

يقول الإمام الماتريدى (ت:٣٣٣هـ): "﴿كُوِّرَتْ﴾ ذهب ضوءها؛ يقال: كَوَّر الليل على النهار، أي: أذهب نوره وضياءه؛ فالتكوير يغطي لـــون الشـــيء عـــن الأبصار، فقيل: كورت الشمس، أي: حبس ضوءها عن الأبصار بالطمس؛ فيكون فيه إنباء أنه يطمس ظاهرها، ثم يرد التغيير في نفسها فتتلف وتتلاشى"(٢٠٨).

وأما القمر الذي كان آية للناس ونورا(٢٠٩) فيذهب ضوئه، ويُقرن بينـــه وبين الشمس في الطلوع من المغرب قال تعالى:﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾(٢١٠). والمراد من خسف القمر: ذهاب ضوءه، وأما جمع الشمس والقمر فهو زوال النظام السائد عليهما، فالفاصل الموجود بينهما(٢١١) سيزول يوم القيامة ويكونان مقترنين.

وأما النجوم التى كانت علامات وهدى فى الدنيا(٢١٢) فينطمس نورها كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾(٢١٣) تناثرت وتساقطت كما قال تعـــالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾(٢١٤).

---

(٢٠٨) الإمام أبو منصور الماتريدى ــ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)،ج١٠ص٤٣٠.
(٢٠٩) ذكر القمر فى القرآن الكريم حوالى ست مرات.منها قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[سورة نوح:الآيتان(١٥ــ١٦)].
(٢١٠) سورة القيامة: الآيتان (٨ ــ٩).
(٢١١) الشمس فى الدنيا لا يتأتى لها أن تخرج على نواميسها فتلحق القمر وتدخل فى مداره، ولا الليل يتأتى له أن يغلب النهار ويحول دون مجيئه، بل هما متعاقبان. وكل من الشمس والقمر وغيرهما يَسْبح فى فلك لا يخرج عنه. يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس:الآيات(٣٨ ــ ٤٠)] .
(٢١٢) قال تعالى:﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[سورة النحل:الآية(١٦).
(٢١٣) سورة التكوير: الآيتان (١ــ٢).
(٢١٤) سورة الانفطار:الآية(٢).

هذا هو " مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحـــوش النـــافرة والأنعـــام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور. حيث ينكشف كل مستور، ويُعلـــم كـــل مجهول وتقف النفس أمام ما أَحضرت من الرصيد والزاد فـــي موقـــف الفصـــل والحساب. وكل شيء من حولها عاصف وكل شيء من حولها مقلوب! "[٢١٥].

والشاهد أن النظام الكونى السائد ينهار ويزول لانتهاء أجلـــه ، ويحـــلّ محله نظام آخر أكمل منه ، فيكون الزوال مقدمة لنظام آخر.

٣ ـ اختلال نظام الأرض:

إن المتأمل في الآيات القرآنية يرى التصوير الرائع، بل الدقيق المعجـــز الذي يكون ناتج نفخة الهدم، ومن ذلك قوله تعـــالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[٢١٦].

يقول الإمام أبو السعود (ت:٩٨٢هـ): "إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية، والتعبير عنها بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة فـــي نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانـــت الكائنـــة وحدثت الحادثة مما ينبىء عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال مالا يفي به المقال ولذا فهي خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئـــذ من حط الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلـــة الأشـــياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كِسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل"[٢١٧].

---

(٢١٥) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ج ٦ص ٣٨٣٩ .

(٢١٦) سورة الواقعة: من الآيات (١ــ٦).

(٢١٧) الإمام أبو السعود العمادي ــ إرشاد العقل السـليم ــ ج ٨ ص ١٨٨، ط: دار إحيـــاء التراث العربي ــ بيروت

ومن معالم ذلك الهدم ما يقـــع علـــى الأرض فـــي الـــدوائر الجماديـــة ،والمائية، والنباتية: فتتزلزل الأرض وتتحرك حركة شديدة، وتضطرب أقوى مـــا يكون من التحريك والاضطراب الذى تطيقه وتحتمله. قـــال تعـــالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾(٢١٨).

يرى العلامة أبو السعود (ت:٩٨٢هـ): "أن الأرض تُحرك تحريكا عنيفـــا متكررا متداركا بالزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذي لا يقـــادر قدره"(٢١٩).

وتتبدل الأرض غير الأرض الموجودة الآن، وتجعـــل الســـموات غيـــر السموات كذلك، ويخرج الخلائق من قبورهم لحُكم الله الذى لا شريك له ولا غالب له.قال تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٢٢٠)، وتدك الأرض وتسوي تسوية بعد تسوية. قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾(٢٢١). وتُرَجُّ رَجا فتُزَلزل الأرض وتهتز اهتزازاً شديداً، وتتفتت الجبـــال تفتيتاً دقيقاً،فتصير غباراً متطايراً(٢٢٢)كما قال تعالى:﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾(٢٢٣) وتمد كما قال ســـبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾(٢٢٤).

---

(٢١٨) سورة الزلزلة:الآيتان(١ــ٢).
(٢١٩) راجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ــ ج٩ص١٨٨.
(٢٢٠) سورة إبراهيم: الآية (٤٨).
(٢٢١) سورة الفجر: الآية (٢١).
(٢٢٢) المنتخب فى التفسير ــ ص٧٩٧. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ مصر.
(٢٢٣) سورة الواقعة:الآية(٤).
(٢٢٤) سورة الانشقاق:الآيات(٣ ــ٥).

وأمّا الجبال فيصور القرآن الكريم حالتها يوم القيامة، حيث تُسَيَّر وتحرِّك من أماكنها. قال تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾(٢٢٥)

يقول الإمام الطبرى (ت:٣١٠هـ): "وإذا الجبال سيرها الله، فكانت سرابا، وهباء منبثا"(٢٢٦)،وقال سبحانه:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾(٢٢٧). وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾(٢٢٨). وقوله تعالى:﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾(٢٢٩).

وقد جاء التعبير عن الفخ فى الصور بلفظ الراجفة والرادفة.التى ترجف عندها الأرض وما عليها من الجبال قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾(٢٣٠).

يقول الإمام الزمخشرى (ت:٥٣٨هـ) :"﴿ٱلرَّاجِفَة ﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى: وُصفت بما يحدث بحدوثها ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ أي الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية"(٢٣١).

وقد ذكر الإمام البغوى(ت:٥١٠هـ) أن: "الراجفة هى النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق.تتبعها الرادفة،وهي

---

(٢٢٥) سورة التكوير: الآية (٣).
(٢٢٦) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ج٢٤ص٢٤٠.وراجع للإمام ابن عطيه ــ المحرر الوجيز ــ ج٥ ص٤٣١.
(٢٢٧) سورة الكهف: الآية (٤٧).
(٢٢٨) سورة المرسلات: الآية (١٠).
(٢٢٩) سورة الواقعة: الآيتان (٥ ــ ٦).
(٢٣٠) سورة النازعات: الآيتان (٦ ــ ٧).
(٢٣١) الإمام الزمخشرى ــ الكشاف عن حقائق التنزيل ــ ج٤ص٦٩٣.

النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل"[٢٣٢].

والشاهد أن ﴿ ٱلرَّاجِفَة﴾ صيحة عظيمة فيها تردد و اضطراب وهـــي تنطبق على النفخة الأُولى، و﴿ ٱلرَّادِفَة ﴾ كلّ شيء تبع شيئاً آخر فقـد ردفـه، ولعلّها المراد بها النفخة الثانية التي تعقب النفخة الأُولى، وهي التي يُبعث معهـا الخلق، ويستدل على أنّ الرادفة هي النفخة الثانيـة، بقولـه سـبحانه: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾[٢٣٣] أي: قلوب مضـطربة اضـطرابا شديدا وأبصارها خاشعة ذليلة من هول ذلك اليوم.

ومثله قولـه تعـالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾[٢٣٤].

يقول الشيخ البروسـوى (ت:١١٣٧هـ) "الرجفـة الزلزلـة والزعزعـة الشديدة تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيء القيامة وأمارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين، وأفرد الجبال بالـذكر مـع كونها من الأرض لكونها أجساما عظاما أوتادا لها فاذا تزلزلت الأوتاد لـم يبـق للأرض قرار، وأيضا إن زلزلة العلويات أظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتهـا تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ ﴾ من شدة الرجفة مـع صلابتها وارتفاعها ﴿كَثِيبًا﴾ تلا من الرمل ﴿ مَّهِيلا ﴾ مثل رمل مجتمع هِيل هَيلا

(٢٣٢) الإمام البغوى ــ معالم التنزيل ــ ج ٥ص ٢٠٥.
(٢٣٣) سورة النازعات: الآيتان (٨ ــ ٩).
(٢٣٤) سورة المزمل: الآية (١٤).

أى نثر وأسيل بحيث لو حُرك من أسفله انهال من أعلاه وسال لتَفَـرِّق أجزائـه كالعهن المنفوش"(٢٣٥).

فهذه الآية " تنقل صورة للهول تتجاوز الناس إلـى الأرض فـي أكبـر مجاليها. فترجف وتخاف وتتفتت وتنهار.فكيف بالناس المهازيل الضعاف!" (٢٣٦).

وهذه الآيات وآيات أخرى تحكي عن حدوث تحـولات وتغيـرات تقـع للجبال، منها: الحركة، والسير، والرجف وهي الحركة الشديدة والاضـطراب.مما ينتج عنه نسف الجبال من أصلها. وتعود في مرحلة ثانية كأنّها غبار منبث فـي الفضاء. وأخيراً تؤول نهايتها إلى أطلال من تراب(٢٣٧).

أما البحار فإنها تُسجَّر كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾(٢٣٨).

وقد أقسم سبحانه بالبحر المسجور فقال تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾(٢٣٩).

فهذه الآيات تصوّر حال البحار يوم القيامة، وقد يكون المراد من تسجير البحار ملؤها بالمياه فيصير الجميع بحراً واحداً(٢٤٠). وأن تجيئها هذه المياه مـن

---

(٢٣٥) الشيخ إسماعيل حقى ــ روح البيان ــ ج١٠ص٢١٥.

(٢٣٦) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ــ ــ ج٦ص٣٧٤٧.

(٢٣٧) يذكر القرآن الكريم مصير الجبال بعد النفخ فى الصور فى آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً* فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾[سورة الحاقة: الآيات (١٣ــ١٥)] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)[سورة الكهف: الآية (٤٧)]، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[سورة الطور: الآيتان (٩ــ١٠)]. ومنها قوله سبحانه:

﴿ وَسُيِّرتِ الجِبالُ فكانَتْ سَراباً ﴾[سورة النبأ:الآية(٢٠)] وقوله تعالى:﴿ وَتَكُونُ الجِبالُ كَالعِهنِ المَنْفُوش ﴾ [سورة القارعة: الآية (٥)].

(٢٣٨) سورة التكوير: الآية (٦).

(٢٣٩) سورة الطور: الآية (٦).

(٢٤٠) قدَّر الله أن تكون طبيعة الماء فى الدنيا إنفصال العذب عن المِلح الأجاج ، قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ .[سورة الفرقان: الآية (٥٣)، وقال سبحانه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[سورة الرحمن: الآيات (١٩ــ٢١) فإذا نفخ فى الصور نفخة الهدم يوم القيامة فإن وضع البحار سيتغير ويكون الجميع شيئاً واحداً مختلطاً وملتهبا.

فيضانات كالتي يقال إنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها ،وإما بالزلازل والبراكين التي تزيل الحواجز بين البحار فيتدفق بعضها في بعض"[٢٤١].

بل إن البحار تُفجَّر بعد نفخة الهدم كما قـــال ســـبحانه:﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾[٢٤٢]، وقد يكون معناه التهابها وانفجار عناصرها وانفصال الأيدروجين عن الأكسوجين فيها. أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الـــذرة، وهـــو أشد هولا. أو على أي نحو آخر. وحين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لا يُتَصوَّر مداها تنطلق من البحار. فإن تفجير قدر محدود من الـــذرات فـــي القنبلـــة الذريـــة أو الأيدروجينية يُحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا فإذا انفجرت ذرات البحار علـــى هذا النحو أو نحو آخر، فإن الإدراك البشري يعجز عن تصور هذا الهول وتصور جهنم الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة!"[٢٤٣].

هذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هـــذا الكـــون الـــذي نعهده. الكون المنسق الجميل، الموزون الحركـــة، المضـــبوط النســـبة، المتـــين الصنعة، المبني بأيد وإحكام. سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وتذهب عنـــه صفاته هذه التي يقوم بها وينتهي إلى أجله المقدر، حيث تنتهـــي الخلائـــق إلـــى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائيا في هـــذا الكون المعهود.وهذا ما تستهدف الآيات إقراره في المشاعر والقلوب كي تنفصـــل من هذه المظاهر الزائلة ــ مهما بدت لها ثابتة ــ وتتصل بالحقيقة الباقية.. حقيقة الله الذي لا يَحول ولا يزول، حين يحول كل شيء من الحوادث ويـــزول. ولكـــي تنطلق من إسار المعهود المألوف في هذا الكون المشهود. إلى الحقيقة المطلقـــة التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا رؤية ولا حس، ولا مظهر من المظـــاهر التـــي تقيدها في ظرف أو إطار محدود! وهذا هو الشعور العام الذي ينسرب إلى النفس وهي تطالع مشاهد هذا الانقلاب المرهوب.فأما حقيقة ما يجري لكل هذه الكائنات،

(٢٤١) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ج ٦ص ٣٨٣٩ .
(٢٤٢) سورة الانفطار: الآية (٣).
(٢٤٣) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ج ٦ص ٣٨٣٩ .

فعلمها عند الله وهي حقيقة أكبر من أن ندركها الآن بمشاعرنا وتصوراتنا المقيدة بمألوف حسّنا وتفكيرنا"(٢٤٤).

مما سلف ذكره تبين أن النفخ في الصور لإنهاء الحياة الدنيا بكل قوانيها ونواميسها هو فعل من أفعال الله ولحكمة يعلمها جل علاه، ومن الشواهد على أن كل ما يجري في الكون إنما هو خاضع لمشيئة الله، وأن القرآن الكريم إنما هـــو كتاب جمع أطراف الزمان، وقدم مبادئها، وأواخرها أمام بني الإنسان، وفيـــه رد على القائلين بقِدَم المادة وقِدَم الزمان، وعدم الاحتياج إلى الواحد الـــديان الـــذي بقدرته يُبَدل الأرض غير الأرض، والسماوات، وهو المَلِك الحق ليس لملكه حـــد، ولا يستطيع عَدّ نعمه عادٌ تجلت قدرته كل يوم هو في شأن، قال تعـــالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٢٤٥).

(٢٤٤) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ج ٦ص ٣٨٣٩ .
(٢٤٥) سورة إبراهيم: الآية (٤٨).

الفصل الثالث
نفخ في الحيـــــاة البرزخية

أنبأت آيات القرآن الكريم عن الحياة البرزخيـــة، قـــال تعـــالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢٤٦)، وأنها مرحلة بين الحياة الدنيا والآخرة، تتطلع فيها الأرواح على الحياة الدنيا، وفيها شعور تام وإدراك كامـــل ومعرفـــة صادقة ، وفيها حياة طيبة صالحة لأولئـــك الـــذين رضـــي الله عـــنهم، ورضـــوا عنه(٢٤٧)، تحتوي على تهليل وتحميد وذكر وتسبيح، فإن الموت ما هو إلا انتقال من حال إلى حال بدليل أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قـــال تعـــالى:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾(٢٤٨).

وأنهم فرحين بما آتاهم الله منعمين بفضله عليهم. قال جل جلاله:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢٤٩).

والحياة البرزخية كاملة فيها نعيم مقيم لأهل الصلاح، وعذاب أليم لأهـــل الفساد، يُستدل عليه بما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ في قصـــة الـــرجلين

---

(٢٤٦) سورة المؤمنون: من الآية (١٠٠).
(٢٤٧) الدكتور عمر عبدالله كامل، الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف ص٥٣٥، ٥٣٦، ط مكتبة الوابل الطيب للإنتاج والتوزيع، المدينة المنورة.
(٢٤٨) سورة البقرة: الآية (١٥٤).
(٢٤٩) سورة آل عمران: الآيات (١٦٩ــ١٧١).

الصالح، وغير الصالح فى القبر،وفيه:(فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة " قال: «فيأتيه من روحها وطيبها» قال: «ويفتح له فيها مد بصره» قال: «وإن الكافر» فذكر موته قال: " وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: له من ربك؟ فيقول: هاه هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار "قال: «فيأتيه من حرها وسمومها» قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه» زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا» قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا» قال: «ثم تعاد فيه الروح»)[٢٥٠].

والحياة البرزخية فيها نعيم حقيقي يدل عليه إحساسهم بالطعام والشراب والنعيم إحساسًا كاملاً بشعور وتلذذ وتمتع يدل عليه ما رواه أبو داود، عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ﷺ : (لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يُبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل الله عزوجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

(٢٥٠) أخرجه أبو داوود فى سننه، كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، ج٤، ص ٢٣٩ حديث (٤٧٥٣). قال الشيخ شعَيب الأرنؤوط :إسناده صحيح. وصححه الألبانى، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط: المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت. وأخرجه الإمام أحمد في "مسنده" ج٣٠ص ٤٩٩ حديث (١٨٥٣٤).

يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[٢٥١]..)[٢٥٢].

ولا يخفي أن حياة أهل البرزخ لها ناموس خاص بها[٢٥٣]، فإذا أراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ إنهاء تلك المشاهد التي تدور بينهم أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور. ومن هنا فإني أتناول ما يدور في الحياة البرزخية من نفخ في الصور طبقًا لما يلي:

أولاً ــ نفخة الفزع:

الفزع هو: انتقال من حال قائمة إلى أخرى لم تكن متوقعة.

والفزع: "انقباض ونَفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجَزَع"[٢٥٤].

وعَرَّفه الإمام ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) بأنه: "تفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجَزَع"[٢٥٥].

ويدل على وقوع هذا الفزع للكل ظاهر قوله تعالى في أمن أهل الجنة من الفزع:

---

(٢٥١) سورة آل عمران:الآيتان(١٦٩ــ١٧٠).

(٢٥٢) أخرجه أبو داوود فى سننه ــ كتاب الجهاد ــ باب في فضل الشهادة ــ ج٤ ص١٧٤حديث(٢٥٢٠) قال الشيخ شعَيب الأرنؤوط :إسناده حسن.وأخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب الجهاد ــ ج٢ص ٩٧ حديث(٢٤٤٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٢٥٣) الناموس: السر، تقول العرب : ناموسُ الرجل: صاحبُ سرِّه الذي يُطلعه على باطن أمره ويخصُّه بما يستره عن غيره. الإمام الجوهري، الصحاح (فصل النون)ج٣ص ٩٨٦، وراجع للجرجانى، التعريفات، ص٢٣٩. وللإمام أبو البقاء الكفوى ــ الكليات ــ ص٤٤٤.

(٢٥٤) الراغب الأصفهانى ــ المفردات فى غريب القرآن ــ ص٦٣٥، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ــ ط: دار القلم، الدار الشامية ــ دمشق بيروت ــ الطبعة: الأولى ــ ١٤١٢ هـ.

(٢٥٥) الإمام الطاهر ابن عاشور ــ التحرير والتنوير ــ ج١٧ص١٥٦.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٢٥٦].

وقد ذكر العلامة الطبري (ت:٣١٠هـ) أن المراد بالفزع الأكبر ما يكـــون عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يَحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعدَه أحرى أن لا يفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغير مـــأمون عليـــه الفـــزع ممـــا بعده"[٢٥٧].

يقول الشـــيخ ابـــن عاشـــور (ت:١٣٩٣هـ): "جملـــة﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ بيان لمعنى ﴿ مُبْعَدُون ﴾، أي مبعدون عنها بعداً شديداً بحيـــث لا يلفحهم حرها ولا يروعهم منظرها ولا يسمعون صوتها، والصوت يبلغ إلى السمع من أبعد مما يبلغ منه المرئي. والحسيس: الصوت الذي يبلغ الحس، أي الصوت الذي يُسمع من بعيد، أي لا يقربون من النار ولا تبلغ أسماعَهم أصـــواتُها، فهـــم سالمون من الفزع من أصواتها فلا يقرع أسماعهم ما يؤلمها.وعقَّب ذلك بما هو أخص من السلامة وهو النعيم الملائم"[٢٥٨].

وقد جاءت نفخة الفزع في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[٢٥٩].

قال العلامة الطبري (ت:٣١٠هـ): "ففزع من في السموات من الملائكـــة ومن في الأرض من الجن والإنس والشياطين، مـــن هـــول مـــا يعـــاينون ذلـــك اليوم"[٢٦٠].

---

(٢٥٦) سورة الأنبياء: من الآية (١٠١ــ ١٠٣).
(٢٥٧) راجع للإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١٨ص٥٤٢.
(٢٥٨) الإمام الطاهر ابن عاشور ــ التحرير والتنوير ــ ج١٧ص١٥٦.
(٢٥٩) سورة النمل: الآية (٨٧).
(٢٦٠) الإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١٩ص٥٠٤.

ويرى الإمام أبو السعود :" أن ما يستدعيه سباق النظم الكريم وسـياقه أن المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى:﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ما يعتري الكل عند البعث والنشـور بمشـاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات فـي الأنفـس والآفـاق مـن الرعـب والتهيِّـب الضروريين الجِبليين، وإيراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه ﴿ يُنفَخُ﴾ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمـة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما تـوهم أن الكـل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أن لا يفزع قيل: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل ــ عليهم السلام ــ وقيل: الحور، والخزنة، وحملة العرش ﴿ وَكُلٌّ ﴾ كل واحد من المبعوثين عند النفخـة ﴿ أَتَوْهُ ﴾ حضروا الموقف بين يدي رب العزة جـل جلالـه للسـؤال والجـواب والمناقشة والحساب﴿ دَٰخِرِينَ ﴾ صاغرين"(٢٦١).

وهذه النفخة هى المعبر عنها بالصيحة، كما قال تعـالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ

(٢٦١) الإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج ٦ص٣٠٣.

ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ (٢٦٢).

يقول الإمام ابن كثير:"أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه ــ والله أعلم ــ نفخة الفزع، يُنفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطولها ويَمدها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى لِيتًا، ورفع لِيتًا(٢٦٣) ــ وهي صفحة العُنق ــ يتسمع الصوت من قِبَل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ ولهذا قال: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ على ما يملكونه، فالأمر أهم من ذلك، ﴿ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ "(٢٦٤).

وقد ذكر الفخر الرازي وجوها من بديع القرآن في هذه الآية تدل على هول هذه الصيحة وعظمها.

أحدها:التنكير يقال لفلان مال أي كثير، وله قلب أي جريء، وثانيها: قوله: ﴿ وَاحِدَةً﴾ أي لا يحتاج معها إلى ثانية، وثالثها: ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ أي تَعمهم بالأخذ وتصل إلى من في مشارق الأرض ومغاربها، ولا شك أن مثلها لا يكون إلا عظيما.

وقوله: ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ مما يَعْظم به الأمر لأن الصيحة المعتادة إذا وردت على غافل يرجف

---

(٢٦٢) سورة يس:الآيات(٤٩ ــ٥٣).

(٢٦٣) اللِّيتْ: صفحة العنق، وهما لِيتَان أي أمال صفحة عنقه إليه.الإمام ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤ ص٢٨٤. وفى الحديث (يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس...) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، صحيح مسلم ج٤، ص٢٢٥٨، حديث (٢٩٤٠).

(٢٦٤) الإمام ابن كثيرــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٦ص ٥٨١.

فإن المقبل على مهم إذا صاح به صائح يرجف فؤاده بخلاف المنتظر للصـيحة، فإذا كان حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وتَرد على الغافل الذي هو مـع خصمه مشغول يكون الارتجاف أتم والإيجاف أعظم، ويحتمل أن يقال: يخصـمون في البعث ويقولون لا يكون ذلك أصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يَعتقد أنه يكون فيتهيأ له وينتظر وقوعه فإنه لا يرتجف وهذا هو المـراد بقولـه تعـالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْـأَرْضِ إِلَّـا مَـنْ شَـاءَ اللَّهُ﴾[٢٦٥] ممن اعتقد وقوعها فاستعد لها...، ثم بين شدة الأخذ وهـي بحيـث لا تمهلهم إلى أن يوصوا. وفيه أمور مبيِّنة للشدة.

أحدها: عدم الاستطاعة فإن قول القائل فلان في هذه الحـال لا يُوصِـي دون قوله لا يستطيع التوصية لأن من لا يوصِي قد يستطيعها. الثاني: التوصـية وهي بالقول والقول يوجد أسرع مما يوجد الفعل فقال: لا يستطيعون كلمة فكيـف فِعْلا يحتاج إلى زمان طويل من أداء الواجبـات ورد المظـالم. الثالـث: اختيـار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على أنه لا قدرة له على أهم الكلمـات فـإن وقت الموت الحاجة إلى التوصية أمَسّ. الرابع: التنكير في التوصية للتعميم أي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة، ولأن التوصية قد تحصل بالإشـارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها. الخامس: قوله:﴿ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ بيان لشدة الحاجة إلى التوصية لأن من يرجو الوصول إلى أهله قد يمسك عن الوصية لعدم الحاجة إليها، وأما من يَقطَع بأنه لا وصول له إلى أهله فـلا بـد لـه مـن التوصية، فإذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة"[٢٦٦].

ومحل الشاهد أن الفزع يشمل من فى السماوات ومن هم علـى ظهـر الأرض من الأحياء ، ويشمل الأموات الذين أقاموا في الحياة البرزخية وكانت لهم أمورهم التى اعتادوها طبقًا لما قاموا به ومارسـوه، فـإذا أراد الله ــ سـبحانه وتعالى ــ أن يغير حياتهم التي أَلِفوها أمر أمين الصور بالنفخ فيفزع الكل.

---

(٢٦٥) سورة الزمر: الآية (٦٨).
(٢٦٦) الإمام الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٦٢ص ٢٩٠.

ومن البين أن نفخة الفزع فيها تمهيد وتهيئة للأرواح والأبـدان التـي عاشت الحياة البرزخية، وتلقت فيها النعيم المقيم أو العذاب الأليم لقوله تعـالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(٢٦٧).

قال الإمام القرطبي(ت:٦٧١هـ): "الجمهور على أن هـذا العـرض فـي البرزخ. واحتج بعض أهـل العلـم فـي تثبيـت عـذاب القبـر بقولـه:﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ ما دامت الدنيا. كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الـدنيا، ألا تراه يقول عن عـذاب الآخـرة:﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(٢٦٨).

ويُستَدل لهذا بقول رسول الله ﷺ:(إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهـل النـار فمن أهل النار، فيقال:هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)(٢٦٩).

وقد قرر العلامة ابن حجر(ت:٨٥٢هـ): "أن هذا العرض يكون في الـدنيا قبل يوم القيامة... وأن في هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأن الـروح لا تفنـى بفناء الجسد لأن العرض لا يقع إلا على حي"(٢٧٠).

فعن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان

---

(٢٦٧) سورة غافر: الآية (٤٦).
(٢٦٨) الإمام القرطبى ــ الجامع لأحكام القرآن ــ ج١٥ ص ٣١٨.
(٢٦٩) أخرجه البخاري فى صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يُعرض عليـه مقعـده بالغـداة والعشي، ج١، ص٤٢٣ حديث (١٣٧٩).
(٢٧٠) العلامة ابن حجر العسقلانى ــ فتح البارى ــ ج٢ص٩٨ حديث(١٣٧٤).

فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن، فيقـول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله بـه مقعدا من الجنة، فيراهما جميعاـ قال قتادة: وذكر لنا: أنه يُفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس ـ قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقـال: لا دريـت ولا تليـت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صـيحة يسـمعها مـن يليـه غيـر الثقلين)[٢٧١].

وقد ذكر الإمام القرطبي (ت:٦٧١هـ) أن هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فتُرد إليه الروح كما تُرد عند المسألة حين يقعده الملكان، ويقال له: انظـر إلـى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنـة وكيفمـا كـان، فـإن العـذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الـروح مثلاً في النائم فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك"[٢٧٢].

وقد أكد ابن كثير(ت:٧٧٤هـ): أن نفخة الفزع تكون سابقة على غيرهـا مما يقع داخل الحياة البرزخية، ولابد من مدة بين نفخة الفزع وما يلحقها، ونبـه إلى أن حديث الصور فيه أمور عظام تجري من زلزلة الأرض وارتجاجها ، قـال تعـالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾[٢٧٣]، ومَيَـدانها بأهلها وتَكَفيها يمينًا وشمالاً[٢٧٤].

---

(٢٧١) أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب مـا جـاء فـي عـذاب القبر ـ ج١ص٤٢٢ حديث(١٣٧٤).

(٢٧٢) الإمام القرطبى ـ التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ـ ص٤٢٧. تحقيق الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ،ط: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الريـاض ، الطبعـة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٢٧٣) سورة الانشقاق: الآيتان (٣)، (٤).

(٢٧٤) راجع للإمام ابن كثير ـ النهاية في الفتن والملاحم ـ ص تحقيق: محمـد أحمـد عبـد العزيز ط: دار الجيل، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

ويستدل ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) على هذا بقولـــه تعـــالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾(٢٧٥).

ومن المؤكد أن ما يدور بعد نفخة الفزع قد تصحبه أمور تدل كلها على أن القيامة قد قامت، ولا يخفى أن قيامها قد جاءت له ظواهر تأخذ بالألباب فـــي القرآن والسنة، وتؤكد كلها على أن ما يقع في القبر، وداخل البـــرزخ حقيقـــة لا مرية فيها، وبذا تنقطع أوهام المشككين حول الحياة الآخرة في البـــرزخ، كمـــا لا توجد لشبهاتهم أرصدة يعتمدون عليها، والقاعدة أنه إذا ورد أمر ما في النصوص الشرعية فقد وجب الاهتداء إليه والالتزام به ثم السعي نحو إعلانه، والتمسك به لقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٧٦).

ثانياً ـ نفخة الصعق:

وهي نفخة يقع فيها الهلاك لجميع الموجـــودين مـــن الإنـــس والجـــن والملائكة وغيرهم إلا من شاء الله، والدليل عليها قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٢٧٧).

---

(٢٧٥) سورة الزلزلة: الآيات (١ــ٥).
(٢٧٦) سورة المائدة: من الآيتان (١٥ــ ١٦).
(٢٧٧) سورة الزمر: الآية (٦٨).

وقد فهم الكثيرون من العلماء أن الصعق الوارد في الآية الكريمة معناه الموت[٢٧٨]. ونفخة الصعق على هذا المعنى تنتهي بموت جميـــع الأحيـــاء حتـــى الذين في القبور.

وقد نبه إلى ذلك الإمام أبو حيان (ت:٧٤٥هـ) إذ يقول: "والصـــعق هنـــا الموت، أي فمات من في السموات ومن في الأرض"[٢٧٩]، وكذا قال الإمام الزجاج (ت:٣١١هـ): "﴿فَصَعِقَ﴾ أي مات"[٢٨٠].

وقد قرر الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أن نفخـــة الصـــعق تعنـــى مـــوت الخلائق إلا من شاء الله فقال: "إن الله تعالى يخبر عن هول يوم القيامـــة، ومـــا يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، عند وقوع النفخة الثانية، وهـــي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا مـــن شاء الله كما هو مصرح به مفسَّرا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقـــاء، ويقـــول: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ ثـــلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[٢٨١] الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء"[٢٨٢].

---

(٢٧٨) نسب الطبري هذا القول إلى السُدِّي، ويبدو أنه اعتنقه بدليل ذكره له قبلُ ثم التأكيد عليـــه بعد. راجع جامع البيان ــ ج٢١ص٣٢٩. وراجع للإمام ابن الجوزى ــ زاد المسير في علم التفسير ــ ج٤ص٢٦.

(٢٧٩) الإمام أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمـــدجميل، ط: دار الفكـــر، بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٢٨٠) الإمام أبو إسحاق الزجاج ــ معاني القرآن وإعرابه، ج٤، ص٣٦٢، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

(٢٨١) سورة غافر: الآية (١٦).

(٢٨٢) راجع للإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١١٦. وراجع للإمام الشـــوكانى، فتح القدير، ج٤ ص٥٤٥. ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ــ دمشق، بيـــروت، الطبعـــة الأولى ١٤١٤هـ.

ونبه ابن جزي (ت:٧٤١هـ) إلى أن نفخة الصعق بها مـــوت الخلائـــق، وأنها تأتى بعد نفخة الفزع فقال:" هذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية، وقوله تعالى:﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ قيل: جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميتهم الله بعـد ذلـك وقيـل: استثناء الأنبياء، وقيل الشهداء"(٢٨٣).

وبذا تتحق عملية الموت مرة أخرى لمن في القبور حتى إذا أخرجهم الله تعالى منها بعد البعث للنشر والحشر كان الأمر جديدًا وهو الذي تدل عليه ظواهر الآيات.

ثالثا: نفخة الاستعداد للخروج.

تحدثت آيات القرآن الكريم عن نفخة الاستعداد للخروج فى قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(٢٨٤) ،ويدل عليها أيضا قوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٢٨٥)

يقول الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "ثم يُحيي الله ــ تعالى ــ أول مـــن يُحيـــي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، فيصيرون أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، ويستدل الإمام ابن كثير على ذلـك بقولـه تعـالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم

(٢٨٣) الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي ــ التسهيل لعلـوم التنزيـل ــ ج٢ص٢٢٥،تحقيـق: الدكتور عبد الله الخالدي ،ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت ،الطبعـة: الأولـى ــ ١٤١٦ هـ.

(٢٨٤) سورة يس: الآيات (٥١ــ ٥٣).

(٢٨٥) سورة الزمر: الآية (٦٨).

بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾[٢٨٦] ، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢٨٧]، وقوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[٢٨٨]..[٢٨٩].

وقد نبه الحديث الشريف إلى نفخة الصعق والإفاقة منها في القبر استعدادا للخروج، من ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صُعق، فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)[٢٩٠].

وقد علق الإمام ابن حجر على هذا الحديث فقال: "إن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع ...ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتا ،ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين فمن كان مقبورا انشقت عنه الأرض فخرج من قبره ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك وقد ثبت أن موسى ممن قُبر في الحياة الدنيا ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: (مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر[٢٩١] وهو قائم يصلي في قبره)[٢٩٢]..."[٢٩٣].

---

(٢٨٦) سورة النازعات: الآيتان (١٣ ــ١٤).
(٢٨٧) سورة الإسراء: الآية (٥٢).
(٢٨٨) سورة الروم: الآية (٢٥).
(٢٨٩) راجع للإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٧ص١١٦.
(٢٩٠) أخرجه البخاري فى صحيحه،كتاب الرقاق،باب نفخ الصورج٤ص ١٩٤حديث(٦٥١٧).
(٢٩١)الكثيب:الرمل المستطيل المحدودب،المعجم الوسيط (باب الكاف) ص٧٧١.ويذكر العلماء أن موسى ــ ﷺ دفن فى جبل نِبُو(الرمل الأحمر) وهو جبل فى مؤاب شرقى البحر الميت(بحيرة لوط) وهى قريبة من بيت المقدس. الدكتور، شوقى أبو خليل ، أطلس القرآن ص٨١،ط دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية،١٤٢٢ه ــ٢٠٠١م.
(٢٩٢) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ج١، ص١٥١، حديث (١٦٥).
(٢٩٣) الإمام ابن حجر ــ فتح البارى ــ ج٤ص ٤٤٤.

فعلى العاقل أن لا يغفل عن هذه المشاهد التـــي بينتهـــا آيـــات القـــرآن وفصلتها السُنَّة النبوية، وأن يجعلها نصب عينيه ويتفكر فيها .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى (ت:٥٠٥هـ): "تفكر فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبـــور عـــن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة، فتوهم نفسك وقد وثَبْت متغيراً وجهك مغبراً بـــدنك من فَرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحـــو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهـــم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغمـــوم وشـــدة الانتظـــار لعاقبة الأمر ... فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يُتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعنى يموتون بها إلا من شاء الله"(٢٩٤).

وقد تناول الكثيرون نفخة الصعق هذه بالأقوال بعضهم تأول فيها المعنى بالموت، وبعضهم تأول المعنى بعدم الشعور بمن حوله، وبعضهم تأولها بما يغشى الإنسان من ظواهر لم يكن واضعًا في حسبانه قيامها به، وكل فريق أخذ يُضَـــعِّف وجهه نظر غيره، ويَعتَبر ذلك معضدًا له في موقفه، وقد أدى بهم ذلك إلى تحميل آراء المخالفين ما لم يلزم، واعتبروا أن لازم(٢٩٥) المذهب(٢٩٦) وإن لم يُقِـــر بـــه صاحبه مذهبًا، وهو مخالف لمنهجية البحث العلمي.

---

(٢٩٤) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، ج٤ص ٥١٢.ط دار المعرفة، بيروت.

(٢٩٥) اللازم مِن لزم الشيء إذا ثبت ودام ، وهو ما يمتنع انفكاكه عن الشئ، معجم مصطلحات أصول الفقه، للدكتور/ قطب مصطفى سانو، ص٣٧١ (فصل اللام) ط،دار الفكر، بيـــروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

(٢٩٦) لازم المذهب قد يكون موافقًا للموضوع المطروح، وقد يكون مخالفًا له،وقد يكون موافقًا لموضوعه، وليس موافقًا لنتائجه، ومن ثم فلازم المذهب الموافق ليس مذهبًا إلا إذا أقر بـــه صاحبه، وأكد أنه غايته، وقد وقع له الرضى به، وما ظن ذلك مقبولاً في الأبحاث العلميـــة التي تعتمد المنهجية، وتسعى لتقديم وجهات نظر.هذا فى العقليات. وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى مثل ذلك فى العمليات فقال:" لازم قول الإنسان نوعان:

والرأي الذي أميل إليه أنه طالما ورد في الذكر الحكـيم وجـود نفخـة أضيفت إلى الصعق أو نُسب إليها، أو وُصف بها، أو جاء ذكره مقترنًـا معهـا، فيجب الإيمان بما ورد به النقل، وحمل المعنى على وجه مشروع، والتفويض في الحقيقة والكيفية إلى علم الله تعالى فذلك أولى للمسلم وأطهر للعقل، وأبعـد عـن الجدل والشقاق(٢٩٧).

أحدهما: لازم قوله الحق فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإنَّ لازم الحق حـق ويجـوز أن يضاف إليه إذا عُلم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره. وكثيرا ما يضيف النـاس إلى مذهب الأئمة من هذا الباب.

والثاني: لازم قوله الذي ليس بحق، فهذا لا يجب التزامه إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض وقـد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين ــ عليهم السلام ــ.ثم إن من عُرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره له فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا يلازمه وهذا التفصيل فـي اختلاف الناس في لازم المذهب، هل هو مذهب أو ليس بمذهب هو أجود من إطلاق أحدهما، فما كان من اللوازم يَرضى القائل بعد وضوحه به فهـو قولـه، ومـا لا يرضـاه فلـيس قوله"الفتاوى الكبرى ــ ج٤ص٢٧،ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعـة: الأولـى، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م.

(٢٩٧) ما وقع من خلاف بين المسلمين إنما قام على إهمال قاعدة منهجية عمادها ضرورة تحديد المصطلح فأخذ كل فريق معني ونسج على منواله فكرة انتهت به إلى ما نراه اليوم من تمزق واختلاف وتحول من الأصدقاء إلى الأعداء، ومـن الأخـوة الأعـزاء إلـى ذوي العـداوة والبغضاء، نسأل السلامة في الدين والنجاة في الآخرة وما ذلك على الله بعزيز. لمزيد مـن التفصيل راجع للدكتور الشاهد البوشيخي ــ نظرات في المصطلح والمنهج ــ ط مطبعة آنفو برانت ــ المغرب ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٢٥ هـ ــ يونيو ٢٠٠٤م.

الفصل الرابع
النفخ للحيـــاة الأخـــــرى

جرت سُنن الله تعالى أن تكون الحياة الأساسية على قسمين:

أحدهما: قسم للعمل والجَهد وإقامة الإنسان أمام شرع الواحد الديان وهو الحياة الدنيا(٢٩٨). ومهما كانت لذائذُها فهي لا تمثل بالنسبة للآخرة إلا القليل، ولذا جاءت الظواهر القرآنية مؤكدة هذا المعنى(٢٩٩)، وللحياة الدنيا مع كل فـرد مـن أفراد الكائنات بداية تمثل المرحلة الأولى من عمره ونهاية وهي الفصل الختـامي من حياته، ومن ثم فهي دار عمل طبقًا لما جاءت به النصوص الشـرعية، قـال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾(٣٠٠).

---

(٢٩٨) سميت دنيا؛ لأن مدتها قصيرة، كما أن متاعها دانٍ قليل،وفوق ذلك فإن ما يجـري فيهـا تنضبط أحواله بها،قـال تعـالى: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[سورة النساء: الآية (٧٧)].

(٢٩٩) وصف الله الدنيا بأنها متاع وهو: انتفاع ممتد الوقت ــ لكن الله ــ سبحانه ــ أخبـر أن لكل إنسان في الدنيا تمتعا مدة معلومة.قال تعالى:﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [سورة البقرة: الآية(٣٦)] ،وقال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْـآخِرَةَ هِـيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [سورة غافر: الآيتان (٣٨ــ٣٩)]، وأنه متاع قليل قـال سـبحانه: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾،[سورة النساء: من الآية (٧٧)].وقال جـل جلاله:﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ﴾[سـورة التوبة: الآية (٣٨)]. تنبيها أن ذلك في جنب الآخرة غَيرُ مُعْتَدٍّ به. راجع للإمـام الراغـب الأصفهانى، المفردات ص٧٥٧.

(٣٠٠) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

ثانيهما: الحياة الآخرة، وهي الدار الأبقى والأطـول، وقـد سـميت دار الخُلد، والخلـود[٣٠١] قـال تعـالى:﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾[٣٠٢]، وفيها الأجر والثواب أو العقاب، حيث يتمايز أهل الإيمان والطاعة بالجنة التي وعدهم الله إياها، قال تعـالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣٠٣]، وقال سـبحانه:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[٣٠٤].

بينما ينفصل أهل الكفر والمعاصي بالعذاب الأليم الذي توعدهم الله إياه، قال تعـالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٣٠٥]، وقـال جـل شـأنه:

---

(٣٠١) الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود ــ المفردات ص ٢٩١ ، منها قولـه جـل جلاله:﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [سورة ق:الآية(٣٤)]،وفي معناه قوله تعـالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[سورة الكهف:الآيتان(١٠٧ــ١٠٨)].

(٣٠٢) سورة الفرقان: الآية(١٥).

(٣٠٣) سورة التوبة: الآية (٧٢).

(٣٠٤) سورة النساء: الآية (١٢٢)، ومثله قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُـهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[سورة الحج :الآية(٢٣)].

(٣٠٥) سورة الكهف: الآية (٢٩).

﴿ هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(٣٠٦).

والدار الآخرة أطول مدة حيث جاءت الظواهر دالة على ذلك، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ (٣٠٧).

(٣٠٦) سورة الحج: الآيات (١٩ــ٢٣).
(٣٠٧) سورة هود: الآيات (١٠٣ــ١٠٨).

وفيها الحياة الدائمة الحقيقية يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾(٣٠٨).

يقول الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "يُخبِر الله تعالى عن حقـــارة الـــدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها،وغاية ما فيها لهو ولعب:﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي: الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء، بـــل هي مستمرة أبد الآباد. وقوله: ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى"(٣٠٩).

فالحياة الآخرة "هي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفنـــاء عليها، أوهي في ذاتها حياة للمبالغة، والحيوان مصدر سُمي به ذو الحياة لما في بناء فَعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة"(٣١٠).

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن تلك الحياة الدائمة فقال:(ينادِي منادٍ: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)(٣١١).

وقد ذكر الإمام القرطبى (ت:٦٧١هـ) هذا الحديث وما يماثله فى باب ما جاء في خلود أهل الدارين ،ثم علق قائلا: "هذه الأحاديث مع صحتها نـــص فـــي خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد مـــن غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيـــه

(٣٠٨) سورة العنكبوت: الآية (٦٤).
(٣٠٩) الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٦ص٢٩٤.
(٣١٠) الإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج٧ص٤٧.
(٣١١) أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب تفسير القرآن ــ باب قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يـــوم الحسرة﴾ [سورة مريم: الآية (٣٩)] ج٣، ص٢٥٨، حديث(٤٧٣٠).

من عذاب الكافرين(٣١٢)... فمن قال: إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خاليـــة، وبجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتزول، فهو خـــارج عـــن مقتضـــى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليـــه أهـــل الســـنة والأئمـــة العدول"(٣١٣).

ولما كانت الحياة الآخرة تفصل بينها والحياة الدنيا، الحيـــاة البرزخيـــة، فقد عدها كثير من أهل العلم، مرحلة فاصلة بين الحياتين.

يقول الإمام ابن أبى العز(ت:٧٩٢هـ): "الدُوُر ثلاثـــة: دار الـــدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنســـان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعا لها، وجعل أحكـــام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعا لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ــ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعـــا. فـــإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النارــ مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم"(٣١٤).

وحيث قد انتهيت من الحديث عن النفخ في الصـــور المتعلـــق بالحيـــاة البرزخية، وقد تهيأ الخلائق للحياة الأخرى، فقد وردت الآيـــات القرآنيـــة التـــي تتحدث عن النفخ في الصور للحياة الأخرى، وقد رأيت تناولها من خلال التأمل في الآيات القرآنية فجاءت نَفَخات في أنواع أعرض لها فيما يلي:

---

(٣١٢) يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَـــا يُخَفَّـــفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـــالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّـــالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[سورة فاطر:الآيتان(٣٦ ــ٣٧)] .

(٣١٣) الإمام أبو عبد الله القرطبي ــ التذكرة بأحوال المـــوتى وأمـــور الآخـــرة ــ ص ٩٢٦، تحقيق: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم ــ ط: مكتبة دار المنهاج للنشـــر والتوزيـــع، الرياض ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٣١٤) الإمام علاء الدين ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاويـــة ــ ص٣٩٦، تحقيـــق: الشيخ أحمد شاكر ط: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف ــ المملكة العربيـــة الســـعودية. الطبعة الأولى ــ ١٤١٨هـ

أولاً ـ نفخة الجمع الإحصائي(٣١٥):

ومعناها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ متى رد الأرواح إلى الأجساد في القبور بعثاً فإن حركة تصدر منهم كلٌ يحاول إبداء وجهة نظره أو التصرف فيما هو مقبل عليه، على نواح متفرقة، فتجئ نفخة الجمع ليكون الكل في اتجاه واحد استعدادًا لما سيرد، وهو جمع الخلائق يوم القيامة. كما قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾(٣١٦) وهذا الجمع تحدثت عنه آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾(٣١٧) وقوله تعالى:﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣١٨) وهناك آيات كثيرة فى هذا المعنى(٣١٩).

---

(٣١٥) الإحصاء: العد والحفظ. وفي أسماء الله تعالى: "المُحصي"؛ هو الذي أحصى كل شيء بعلمه فلا يفوته دقيق منها ولا جليل.لسان العرب ـ(فصل الحاء)ج١٤ص١٨٤.

(٣١٦) سورة الشورى: الآية (٧).

(٣١٧) سورة النساء: الآية (٨٧).

(٣١٨) سورة الأنعام: الآية (١٢).

(٣١٩) وردت آيات كثيرة تصف يوم القيامة بيوم الجمع منها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾[سورة هود:الآية(١٠٣)]. وقوله جل وعلا:﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [سورة الواقعة:الآيتان(٤٩، ٥٠)].، وفى معناه قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ [سورة الكهف:الآيتان(٤٧ـ ٤٨).

والدليل على نفخة الجمع قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾(٣٢٠).

وقد فهم بعض أهل الفضل أن هذا النفخ سيكون مقترنًا بطائفة أو طوائف بذاتها(٣٢١)، غير أني سأضع هذا موضع من قال ويبقى لَدَيَّ أمر واحد هو ظاهر الآية الكريمة، من أن النفخ فى الصور متعلق بالحياة الآخرة نظرًا لارتباطه بها مدلولٌ عليه بقوله تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾(٣٢٢)، وسياق الآية قائم على قاعدة أن الآيات القرآنية تُفهم بالسياق واللحاق(٣٢٣).

ولما كان الأمر كذلك فقد رجَّح العلامة الطبري أن يكون معنى الآية:" جمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا، وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين بالله،حتى يروها ويعاينوها"(٣٢٤).

وقوله جل جلاله:﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[سورة التغابن:الآية(٩)].

(٣٢٠) سورة الكهف: من الآية (٩٩).

(٣٢١) ذهب البعض إلى أن الآية والنفخ في الصور عائد إلى يأجوج ومأجوج، وذكر آخرون أن النفخ عائد إلى من يزدحمون وراء السد، وقيل:إنهم الإنس والجن عند فتح السد ،وذكر آخرون أن النفخ عائد إلى يوم القيامة، وكل ذلك أقوال لأصحابها محتَمَلة عندهم، راجع للإمام الماوردى ــ النكت والعيون ــ ج٣ص ٣٤٥، وللإمام الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ــ ج١١، ص٥٠٠.

(٣٢٢) سورة الكهف: الآية (١٠٠).

(٣٢٣) **السياق هو:** مجمل العرض للآيات سواء ما سبق منها أو ارتبط بموضوعها أخذًا من الساق التي ترتبط أجزائه ببعضها ارتباطًا عضويًا، وموضوعيًا، فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه" المعجم الوجيز ص ٤٦٥ وراجع للباحث ــ ردّة الله بن ردّه بن ضيف الله الطلحى، دلالة السياق، ج١ ص ٣٢ رسالة دكتوراه ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة أم القرى ــ المملكة العربية السعودية ــ ١٤١٨ه.

أما اللحاق فهو: فهم الآيات طبقًا للمترتب بعدها من نتائج أخذاً من لحاء الشجر، فإن المادة الفاعلة في الحياة للشجرة تكون متمددة في لحائها، وهو من تشبيه الهيئة بالهيئة ويسمى التشبيه التمثيلي. راجع الشيخ إبراهيم الباجوري، حاشية على السمرقندية في علوم البلاغة، ص١٢١ ط الحلبي ١٩٣٨م.

(٣٢٤) راجع للإمام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١٨ص١٢٣.

وقد رأى الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أن النفخ في الصور هنـــا ترتـــب عليه الجمع والعرض لجهنم أو عليها فذكر في معنى هذه الآية أن الله تعالى أخبر أنه يُحضر الجميع للحساب... ثم يعرض جهنم على الكفار يوم القيامة ، يبرزها لهم ويُظهرها، ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهَمِّ والحزن لهم. ويستدل ابن كثير على ذلك بما رواه ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ــ ﷺ: (يؤتَى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كـــل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)[٣٢٥].."[٣٢٦].

ولما كان الأمر مرتبطًا بما سيجري في الآخرة من عرض جهـــنم علـــى الكافرين أو عرضهم عليها، فقد دل الأمر على أن هـــذه النفخـــة تكـــون للجمـــع الإحصائي حيث لا تترك واحدًا إلا أخذته أخذًا من ذاته، ونبهته إلى ما هو مُقبـــل عليه حتى إنه ليتناسى ذاته نظرًا لما يلاقيه من شدة الهول.

ولا يخفى أن صاحب روح المعاني (ت:١٢٧٠هـ) قرر أن النفخ الـــوارد في الآية هو النفخة الثانية لأنه المناسب لما بعد. وأنها لجمع الخلائق بعـــد مـــا تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جَمْعاً عجيبا لا يُكتنَه كُنهه﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أظهرناها وأبرزناها يوم إذ جمعنا الخلائق كافة ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظـــا وزفيـــرا ﴿ عَرْضًا ﴾ فظيعا هائلا لا يُقادر قدره. ،وتخصيص العرض بهم مع أنها بمـــرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة"[٣٢٧]. ومن ثم فإن كل الخلائق سوف يقع لهم الجمع على هذا النحو.

---

(٣٢٥) أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ــ باب في شدة حر نـــار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين.ج٤ص ٢١٨٤،حديث(٢٨٤٢).
(٣٢٦) الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٥ص ١٩٧.
(٣٢٧) الإمام الألوسى ــ روح المعانى ــ ج٨ ص٣٦٥.

يقول الشيخ السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "إذا نَفخ إسرافيل في الصور، أعـاد الله الأرواح إلى الأجساد، ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامـة، الأولـين مـنهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليُسألوا ويُحاسبوا ويُجـزون بأعمـالهم، فأمـا الكافرون ــ على اختلافهم ــ فإن جهنم جزاؤهم، خالدين فيها أبدا"(٣٢٨).

وبناء على ما سلف تكون تلك النفخة متعلقة ببدايات الحيـاة الآخـرة، حيث تخرج الكائنات كلها من قبورها بعد أن يَـرُد الله أرواحهـا إلـى أجسـادها وتستعد لما بعد تلك الحال، ويستأنس لهذا المعنى بما ورد في السنة المطهرة من أن الله تعالى يُحيى الجميع حتى الدواب فيقتص للشاة الجماء من القرناء.

يدل عليه قول الرسول الله ﷺ: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامـة، حتى يقاد للشاة الجلحاء(٣٢٩)، من الشاة القرناء)(٣٣٠).

وقد ذكر الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي أن فى هـذا الحـديث: "تصـريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يُعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(٣٣١) وإذا ورد لفظ الشـرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله علـى ظـاهره قـال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثـواب وأما القِصاص من القَرناء والجَلْحاء فليس هو من قِصاص التكليف إذ لا تكليـف عليها بل هو قِصاص مقابلة"(٣٣٢).

---

(٣٢٨) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ تيسير الكريم الرحمن ــ ج١ص٤٨٧.

(٣٢٩) الجلحاء من الشاء والبقر بمنزلة الجماء التي لا قرن لها. تهذيب اللغة للإمام: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ج٤ ص٩١، تحقيق: محمد على النجار. ط: الدار القومية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى١٣٨٤هـ ــ١٩٦٤م.

(٣٣٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البـر والصـلة والآداب، بـاب تحـريم الظلـم، ج٤ ص١٩٩٧، حديث (٢٥٨٢).

(٣٣١) سورة التكوير:الآية(٥).

(٣٣٢) شرح الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى على صحيح مسـلم، ج٤ ص١٩٩٧.ط: دار إحيـاء التراث العربي ــ بيروت.

والمراد بالإحصائي الذي أشرتُ إليه هو: جمع كل صنف مـــن أصـــناف الموجودات في مجموعات بذاتها فلا يغيب صنف ولا فرد، ويستدل عليـــه بقولـــه تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[٣٣٣].

ذكر العلامة الطبري (ت:٣١٠هـ) في معنى هـــذه الآيـــة أن:" الـــرحمن أحصى خلقه كلهم، وعدّهم عدّا، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعَرف عددهم، فلا يعزُب عنه منهم أحد، وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الســـاعة وحيـــدا لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هـــو صانع"[٣٣٤].

وقرر الإمام أبو الســـعود (ت:٩٨٢هـ) أن الآيـــة ترشـــد إلـــى الجمـــع الإحصائي، وأن الله تعالى حصر خلقه وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحـــد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته، وعَدَّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شيء عنده بمقدار، وكل واحـــد مـــنهم آت إيـــاه تعـــالى منفـــردا مـــن الأتبـــاع والأنصار"[٣٣٥].

وذكر الإمام القرطبي (ت:٦٧١هـ) في معنى هذه الآية أن كل مـــن فـــي السموات والأرض يأتي يوم القيامة مقراً لله بالعبودية خاضعا ذلـــيلا كمـــا قـــال: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[٣٣٦] صاغرين أذلاء أي الخلق كلهم عبيده فكيف

(٣٣٣) سورة مريم: الآيات (٩٣ــ ٩٥).
(٣٣٤) راجع للعلامة الطبرى ــ جامع البيان ــ ج١٨ص٢٦١.
(٣٣٥) راجع للإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج٥ ص٢٨٣.وراجع للإمام البرســـوى ــ روح البيان ــ ج٥، ص٣٥٨.
(٣٣٦) سورة النمل:الآية (٨٧).

يكون واحد منهم ولدا له عز وجل ــ تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا. لقد أحصاهم وعلم عددهم وعدهم عدا فلا يخفى عليه أحد منهم"(٣٣٧).

ومن ثم بان الأمر أن تلك النفخة الإحصائية دليل على القدرة الإلهيـــة، وتمام العلم الرباني، واطلاقات الإرادة الرحمانية التي لا تُحد، ومن تأمـــل نفخـــة الجمع الإحصائي على النحو الذي سلف بان له أن كل ما فـــي الكـــون بيـــد الله، المُبتدأ والمُنتهى وما بينهما، وأن ما جرى به قضاؤه يتم تنفيذه بقدره، فـــلا راد لقضائه، ولا ناقض لقدره، وهو سريع الحساب.

ثانياً ـ نفخة السَوْق إلى الحشـــــر:

ومعناه أن من تم جمعهم إحصائيًا في نفخة الجمع الإحصائي يخرجـــون في اتجاهات كثيرة، نظرًا لشدة ما هم فيه، وخوفًا مما هم مُقبلون عليه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(٣٣٨).

ولما كان البعث هو رد الله الأرواح إلى الأبدان في القبر حتـــى تكـــون مهيأة للخروج، فإن النشر هو إخراج الله هؤلاء من قبورهم إلى أرض الحشر، ثم تجئ نفخة السَوْق هذه دافعة إياهم إلى حيث يُلاقي كلٌ منهم مكانه الذي أُعدله في الأرض التي يتم فيها الحاشرة(٣٣٩).

---

(٣٣٧) راجع للإمام القرطبى ــ الجامع لأحكام القرآن ــ ج١١ص١٥٩.

(٣٣٨) سورة يس: الآيات (٥١ــ٥٣).

(٣٣٩) هنا أكثر من مرحلة: **الأولى:** مرحلة البعث، وهي إرسال الله تعالى الحياة إلى الأمـــوات وإثارتها من جديد لتتهيأ لما يراد منها من الانطلاقة لما بعد المـــوت حتـــى يـــأتي الموقـــف للحساب ،ويدل عليها قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُـــلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّـــهَ يَبْعَـــثُ مَـــنْ فِـــي الْقُبُـــورِ﴾ [ســـورة الحج:الآيتان(٦ــ٧).، **الثانية:** مرحلة النشر وهي إخراج الله أولئك الذين بُعثوا من القبـــور=

وقد اعتبر الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) هذه النفخة نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور؛ والسَوْق إلى الحشر ولهذا قال تعالى:﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ والنسلان هو: المشي السريع، واستدل ابن كثير على ذلك بقوله تعـالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾[٣٤٠]. ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾؟ يعنون: مِن قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يُبعثون منها، فلما عاينوا مـا كَذبوه في محشرهم قالوا ذلك، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد"[٣٤١].

وقد نبه البورسوي (ت:١١٢٧هـ) إلى نفخة السَوْق إلى الحشـر هـذه، فقال في معنى الآية الكريمـة: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾: "المراد النفخة الثانية التي يُحيى الله بها كل ميت لا النفخة الأولى التي يميت الله بها كل حى وبينهما أربعون سـنة ... يُحيـى الله تعـالى

=حتى يكونوا بعيدين عنها، قال تعـالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾، [سـورة المعارج: الآيتان (٤٣ــ٤٤)]، وقوله تعالى:﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَـأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِـرٌ * مُهْطِعِـينَ إِلَـى الـدَّاعِ يَقُـولُ الْكَـافِرُونَ هَـذَا يَـوْمٌ عَسِـرٌ﴾ [سـورة القمر:الآيتان(٧ــ٨)] **المرحلة الثالثة:** مرحلة سَوق هؤلاء إلى جهة واحـدة، ويعبـر عنهـا بالسَوق إلى الحشر.

(٣٤٠) سورة المعارج:الآية(٤٣) .

(٣٤١) الإمام ابن كثيرــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٦ص٥٨١.وراجع للإمام ابـن عاشـور ــ التحرير والتنوير ــ ج٢٣ص٣٦.

إسرافيل فينفخ فى الصور فيطير كل روح الى جسده ثم ينشق عنه القبـــر﴿ فَإِذَا هُم ﴾ بغتة من غير لبث أى الكفار كما دل عليه ما بعد الآية ﴿ مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ أى القبور جمع جدث وهو القبر ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ إلى دعوة ربهم ومالك أمرهم على الإطلاق وهى دعوة إسرافيل للنشور أو إلى موقف ربهم الـــذي أعـــد للحســـاب والجزاء، كما دل عليه قوله:﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾[٣٤٢] يسرعون بطريق الإجبار دون الاختيار لقوله تعالى:﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٣٤٣]وإذا المفاجأة بعد قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ إشارة إلى كمال قدرته تعالى وإلى أن مراده لا يتخلف عن إرادته زمانا حيث حكم بأن النَسلان وهو سرعة المشي وشدة العَـدْو يتحقق فى وقت النفخ لا يتخلف عنه مع أن النسلان لا يكون الا بعد مراتب وهى جمع الأجزاء المتفرقة والعظام المتفتتة وتركيبها وإحياؤهـــا وقيـــام الحـــي ثـــم نسلانه"[٣٤٤].

وبناء عليه تكون نفخة السَوْق للحشر قد دلت على الحكمة الإلهية التي هي علم، وعمل ــ علم قائم على الإحاطة والانكشـــاف ويحقـــق المصـــالح مـــن النواحي المشروعة، وعمل يتطابق مع العلم؛ لأن ذلك هو المناسب للفظ الحكمـــة التي يوصف بها الفعل الإلهي، ومتفق مع الحكيم الذي هو أحد أسمائه الحســـنى، وصفاته العظمى.

ولا يخفى على ذي عقل، أن هذه النفخة من الســـمعيات الغيبيـــة التـــي أرشدت إليها الآيات القرآنية، ويجب التمسك بما جاء فيها من غير تأويل يخرجها

(٣٤٢) سورة يس:الآية(٥٣).
(٣٤٣) سورة المعارج:الآية(٤٣).
(٣٤٤) الشيخ البروسوى ــ روح البيان ــ ج٧ص٤١٢.بتصرف.

من معانيها، أو يفرغها من مضمونها أو مبانيها، والمُسلم وقَّافٌ عند حدود الشرع، حريص على إرضاء الله والتمسك بما جاء من عند الله، فذا من رحماته جل علاه.

ثالثاً ـ نفخة الحشـــــر(٣٤٥):

ومعناه أن الله سبحانه وتعالى يأمر أمين الصور بالنفخ فيه فتنقلب الخلائق إلى الجهة التي يُراد ذهابهم نحوها، فيُسرع إليها أهل الإيمان تنقلهم رغبة عارمة في تنفيذ أوامر المَلِك الديان، بينما يتلكأ أهل الخسران خيفة ما يلاقونه من عذاب وهوان.

والدليل عليها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾(٣٤٦).

وقد قرر الإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)أن معنى الآية يرشد إلى الحشر فقال: "المراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لأن قوله بعد ذلك: ﴿ وَنَحْشُرُ

---

(٣٤٥) **الحشر**:إعادة الخلق وقد دلت عليه القواطع الشرعية، فقد وردت صفته فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام:الآية(٩٤)] ، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:الآية(٤٧)] ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [سورة مريم: الآيتان (٨٥ــ٨٦)]، وقد وردت صفته فى السُنَّة قال ــ ﷺ: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [سورة الأنبياء: الآية (١٠٤)] وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) [أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب الأنبياء ــ باب قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: الآية (١٢٥)] ج٢ص ٤٥٩ حديث (٣٣٤٩)، والحشر ممكن بدليل الابتداء. فإن الإعادة خلق ثان ولا فرق بينه وبين الابتداء وإنما يسمى إعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق، والقادر على الإنشاء والابتداء قادر على الإعادة وهو المعني بقوله تعالى:﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: الآية (٧٩)] راجع للإمام أبو حامد الغزالي ــ الاقتصاد في الاعتقاد، ص١١٦، تحقيق: عبدالله محمد الخليلي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٤م.

(٣٤٦) سورة طه:الآيتان(١٠٢ــ١٠٣).

﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ كالدلالة على أن النفخ في الصور كالسبب لحشـــرهم فهو نظير لقوله تعـــالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾[٣٤٧].."[٣٤٨].

وذكر الشيخ البورسوي (ت:١١٣٧هـ) أن معنى هذه الآية:" أذكر لقومك يا محمد يوم يَنفخ إسرافيل فى القرن الذي التقمه للنفخ ونُخرج المتـــوغلين فـــى الإجرام والآثام المنهمكين فيها وهم الكفرة والمشركون من مقابرهم ونجمعهم يوم إذ يُنفخ في الصور، وذَكَره صريحا مع تعـــين أن الحشـــر لا يكـــون إلا يومئـــذ للتهويل﴿ زُرْقًا ﴾ جمع أزرق والزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق، أو عميا عيونهم لا نـــور لهـــا لأن حدقـــة الأعمى تزرقُّ، وذلـــك أن العين إذا زال نورهـــا ازرقت ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ بيان لما يأتون وما يذرون حينئذ والتخافت إسرار المنطق وإخفاؤه يقول بعضـــهم لبعض خفية من غير رفع صوت بسبب امتلاء صدورهم من الخوف والهـــوان أو استيلاء الضعف ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أقمتم ومكثتم فى الدنيا أو فى القبر ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴾ عشرُ ليالٍ أو عشر ساعات استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها لأن أيـــام الراحـــة قليلة والساعات تمر مر السحاب فيستقصرون تلك المدة إذا عاينوا أهوال القيامة ، والأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير وأماثل القوم كناية عن خيارهم وعلى هذا قوله تعالى:﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ ﴿إِنْ﴾ بمعنى النفي أى ما﴿ لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى لـــه لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول.

(٣٤٧) سورة النبأ: الآية (١٨).
(٣٤٨) الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب ــ ج٢٢ص ٩٧.

فعلى العاقل أن لا يُضيع وقته بالصرف إلى الدنيا وما فيها من الشهوات فإن الوقت نَقْد نفيس وجوهر لطيف وبازي[٣٤٩].أشهب[٣٥٠] لا ينبغى أن يُبذل لشئ حقير وأن يُصاد به طير لا يُسمن ولا يُغنى من جوع ومن المعلوم أن عيش الدنيا قصير وخطرها يسير وقدرها عند الله صغير إذا كانت لا تعدل عنده جناح بعوضة فمن عَظَّم هذا الجناح كان أصغر منه"[٣٥١].

فإذا نفخ في الصور " للتجمع فالمجرمون يحشرون زرق الوجـــوه مـــن الكدر والغم. يتخافتون بينهم بالحديث، لا يرفعون به صوتا من الرعب والهـــول، ومن الرهبة المخيمة على ساحة الحشر. وقد تضاءلت الحياة الدنيا في حســـهم، وقصرت أيامها في مشاعرهم، فليست في حسهم سوى أيام قلائل:﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ فأما أرشدهم وأصوبهم رأيا فيحسونها أقصر وأقصـــر: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾. وهكذا تنزوي تلك الأعمار التي عاشوها على الأرض وتنطوي ويتضاءل متاع الحياة وهموم الحياة ويبدو ذلك كله فترة وجيزة في الزمان، وشيئا ضـــئيلا في القيمة. فما قيمة عشر ليال ولو حفلت باللذائذ كلها وبالمتاع؟ وما قيمة ليلـــة ولو كانت دقائقها ولحظاتها مليئة بالسعادة والمسرة. ما قيمة هذه أو تلـــك إلـــى جانب الآماد التي لا نهاية لها، والتي تنتظرهم بعد الحشر وتمتد بهم بلا انقطاع؟! ويزيد مشهد الهول بروزا، بالعودة إلى سؤال لهم يسألونه في الدنيا عن الجبال ما يكون من شأنها يومذاك"[٣٥٢].

---

(٣٤٩) البَازي: جنس من الصقور الصَّغِيرَة أو المتوسطة الحجم تميل أَجْنِحَتُهَا إِلى القِصَر وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول وَمن أَنْوَاعه الباشق والبيدق .المعجم الوســـيط ــ (بـــاب البـــاء) ص٥٥.

(٣٥٠) الأشهب :ما خالط بَيَاض شعره سَواد وَحَال لَونه وتلوح من برد أَو حر فَهُوَ أشهب وَهِي شهباء. المعجم الوسيط ــ (باب الشين) ص ٤٩٧.

(٣٥١) الشيخ إسماعيل حقي ــ روح البيان ــ ج٥ص٤٢٥. وراجـــع للإمـــام الزمخشـــرى ــ الكشاف ــ ج٣ ص٨٧، وللإمام ابن عطية ــ المحرر الوجيز ــ ج٤ص ٦٣.

(٣٥٢) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ــ ج٤ص٢٣٥٢.وراجع للإمام البقاعى ــ نظـــم الدرر ــ ج١٢ص٣٤٢. وراجع للإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج٦ص٤١.

من الواضح أن أهل الإيمان يسارعون إلى الحشر فرحين، لمـــا ســـوف يُنْعم عليهم به المولى الكريم، أما غيرهم فإنهم يتصايحون صارخين يا وليتنا من بعثنا من مرقدنا، وقد كانوا به مكذبين فيُصور القرآن الكريم حال المجرمين فـــي نفخة الحشر تصويرًا إعجازيًا يدخل إلى نفوسهم،ويكشف ما يدور في أعمـــاقهم، من همس كاذب وتخافُت مريب، وتلاوم لا يجدون له رجع صدى لأنهم جـــاءتهم تعاليم الله بالطاعة فأبوا إلا العصيان، وحذرهم من الخروج عليهـــا جـــل شـــأنه، فأصروا على العناد والكفران، وأمرهم أن يستجيبوا لداعي الحق فـــيهم، فرفعـــوا راية العصيان واستنكفوا طاعة الله تعالى،وارتضوا أن يكونوا من جند الشـــيطان وقد استحوذ عليهم حتى ألقاهم في الخسران. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٣٥٣).

ويدل على نفخة الحشر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾(٣٥٤).

يقول الإمام القرطبي (ت:٦٧١هـ):" قوله تعـــالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾ وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين، لمـــا وعـــد الله مـــن الجـــزاء والثواب. وسُمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه. قولـــه تعـــالى:

(٣٥٣) سورة المجادلة: الآيات (١٨ ــ٢٠).
(٣٥٤) سورة النبأ: الآيتان (١٨ ــ١٩).

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ للبعث فتأتون إلى موضع العرض. أفواجا أمما، كـل أمة مع إمامهم. وقيل: زمرا وجماعات"(٣٥٥).

بذا تبين أن نفخة الحشر لا يتخلف عنها أحد، وإنما سيكون الكل متجهًا إليها إما بإرادته فرحًا بها، نظرًا لما أعده الله له بشأنها، وإما مرغمًـا عليهـا لا حيلة له في التخلف عنها وفيه دلالة على أن القدرة الإلهية، والمشيئة الربانيـة، والعلم الإلهي، والإرادة الرحمانية تعمل كلها، من غير حاجـة إلـى معاونـة أو مؤازرة، لما هو معلوم من أن الله سبحانه وتعالى له قدرة نافذة، وعلـم محـيط شامل، وما كتب في قضائه ينفذ في قدره(٣٥٦)، فهو جل شـأنه صـاحب الحـول والطول، وهو الفعال لما يريد.

رابعاً ـ نفخة الحســـــاب(٣٥٧):

ومعناها أن الله تعالى يأمر أمين الصور أن ينفخ في الذاهبين إلى الحشر حتى يكونوا على وعي بأن لحظة الحساب قد أتت، وأن موقفهم منها، قد وقـع، وإذا كانوا في الماضي بها من المكذبين فإنهم هاهنا يلاقونها مكبَّلين لا يستطيعون الفكاك منها، وقد حذرهم من المخالفة والعصيان.

---

(٣٥٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩ص ١٧٥. وراجع للإمام أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٤١.

(٣٥٦) القضاء: هو ما حكم الله تعالى به في الأزل، وكتبه قلم رب العزة من غيـر إضـافة أو حذف، فكل ما قضاه مسجل عنده جل علاه، أما القدر: فهو تنفيذ ما دُوِّن في القضـاء كـل بوقته، ولا يختلف قَدَر الله أو يتخلف عما في القضاء بحال من الأحوال. راجع للدكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي، الإيمان بالغيب وأثره في الفكر الإسلامي، أثناء الحديث عـن القضاء والقدر، فقد عرض الآراء في المسألة ثم انتهى إلى تلك النتيجة.

(٣٥٧) الحساب: استعمال العدد، يقال: حسبت أحسب حسابا وحسـبانا" المفـردات للراغـب، ص٢٣٢، "ثم أطلق على عد الأشياء التي يراد الجزاء عليها أو قضاؤها، فصـار الحسـاب يطلق على الوفاء بالحق يقال حاسبه أي كافأه أو دفع إليه حقه، ومنه سُمي يوم القيامة يـوم الحساب ــ قال تعالى:﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: الآيـة (٥٣)]، وقـال سبحانه :﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [سورة النبأ: الآيـة (٣٦)] أي وفاقـا لأعمـالهم" التحرير والتنوير،ج٢ص ٢٤٩.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتُحَدِّث عن نفخة الحشر ونفخة الحساب، وإذا كنتُ قد عرضت لنفخة الحشر فيما مضى،فإن نفخة الحســاب يشــار إليهــا بــقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾(٣٥٨).

ذكر العلامة أبو السعود(ت:٩٨٢هـ) أن هذه النفخة: "هي النفخة الثانيــة وذلك الوقت هو يوم إنجاز الوعيد الواقع في الدنيا أي يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود، وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم مــن ﴿نُفِخ ﴾ فإن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان، وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوَعْد أيضا لتهويله ولذلك بُدئ ببيان حال الكفرة، وجاءت كــل نفــس مــن النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وإن اختلفت كيفية السَوق والشــهادة حسب اختلاف النفوس عملا. وجاءت كل نفس معها ملكان أحدهما يسوقها إلــى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل: معهــا ملــك يسوقها ويشهد عليها وقيل:السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات، وقيل: السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله، ويخاطب الله الإنسان بقولــه لقد كنتَ فى غفلة من هذا وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا وله غفلة مــا من الآخرة، وقيل الخطاب للكافر"(٣٥٩).

إن الآيات القرآنية تأخذ بالعقل الواعي من لبه ولبابه، وتعتصــره مــن نوازعه وأهوائه التي غشيت جوانبه وتخلت عن أعتابه، حتى يلتفت إلى ما جــاء من عند الله، فهو الباقي وعندئذ يلتفت إلى ما سوف يلاقيه عند حسابه.

---

(٣٥٨) سورة ق: الآيات (٢٠ــ٢٢).

(٣٥٩) راجع للإمام أبو السعود العمادي ــ إرشاد العقل السليم ــ ج٨ص١٣٠. وراجع للإمــام الطبرى ــ جامع البيان ــ ج ٢٢ص٣٤٧.وراجع للإمام الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيــب ــ ج٢٨ص١٣٥.

قـــال تعـــالى:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٣٦٠).

يذكر الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) في معنى الآيات أن الله تعـــالى يخبـــر عن أهوال يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العِظام، حيث تـــذهب الجبـــال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض سطحا مستويا لا عوج فيه ولا أمتا لا وادي ولا جبل؛ بادية ظاهرة، ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يواري أحدا، بل الخلـــق كلهـــم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية.وقد جَمَع، الأولين منهم والآخرين، فلم يترك منهم أحدا، لا صغيرا ولا كبيرا، وجميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا، أو يقومون صـــفوفا صـــفوفا،﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾، وهذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رءوس الأشهاد؛ ولهذا قال مخاطبا لهم: ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن. ووضع كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير فترى المجرمين مشفقين من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحـــة، يقولون يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا مال هذا الكتاب لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر إلا ضبطه، وحفظه. ووجدوا ما عملوا من خير أو شر حاضرا فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا، ولا يظلم أحدا من خلقه، بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء، بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من

(٣٦٠) سورة الكهف:الآيات(٤٧ ــ ٤٩).

الكفار وأصحاب المعاصي، ثم يُنجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم"(٣٦١).

وقد ذكر القرآن الكريم أن لنفخة الحساب معالم منها:

١ـ التبرؤ من الأنساب:

وردت آيات القرآن الكريم تعزل كل إنسان عن ماضيه وتفصله بعيدًا عن أصدقائه، ومعارفه، وما كان في دنياه يأنس به، ويعتمد عليه ويؤاخيه، وبينت أن هول الموقف يوم الحساب لا هول آخر يساويه أو يدانيه، حينئذ يُفلت من العقل الواعي قيد التحفظ والكتمان، وما كان يَتسارَّ به، ولا يبديه، فقال تعالى:﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾(٣٦٢).

و"السَّرائرُ ما أُسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أُخفى من الأعمال. وبلاؤها تَعَرُّفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث. فما للإنسان من منعة في نفسه يمتنع بها ، ولا مانع يمنعه"(٣٦٣).

ثم أخذت الآيات القرآنية الإنسان إلى جوانبه النفسية، وهمست في عقله الواعي بما سيّرد عليه يومها من حقائق تَسِمُه بأنه تخلى عن نزعاته الإنسانية، فقال تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٣٦٤).

يقول الإمام البقاعي (ت:٨٨٥هـ): ﴿ فَإِذَا نُفِخَ ﴾ النفخة الثانية وهي نفخة النشور، أو الثالثة للصعق فقاموا من القبور أو من الصعق ﴿ فَلَآ أَنسَابَ ﴾ وهي أعظم الأسباب بينهم يذكرونها يتفاخرون بها يومئذ لما دهمهم من الأمر وشغلهم من البأس ولحقهم من الدَهَش ورعبهم من الهول ، وعندئذ علموا عدم

(٣٦١) راجع للإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٥ص١٦٤.وللإمام الخازن ــ لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٣ ص١٦٦.
(٣٦٢) سورة الطارق: الآيتان (٩ــ١٠).
(٣٦٣) الإمام الزمخشرى ــ الكشاف ــ ج٤ص٧٣٦.
(٣٦٤) سورة المؤمنون:الآية(١٠١).

نفعها إلا ما أذن الله فيه، بل يفر الإنسان من أقرب الناس إليه، وإنمـــا أنســـابهم الأعمال الصالحة ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ في التناصر لأنه انكشف لهم أن لا حكم إلا الله، وأنه لا تغني نفس عن نفس شيئاً، فتسبب عن ذلـــك أنـــه لا نصـــرة إلا بالأعمال التي رحم الله بالتيسير لها ثم رحم بقبولها"[٣٦٥].

حينئذ يجد كل فرد من نفسه الإعلان عن براءته من أنســـابه[٣٦٦]، أمـــا لماذا؟ فلأن ما هو قادم عليه ومقبل إليه أعلى بكثير مما هو معتاد عليه.

بل إنَّ كل فرد منهم لا يحاول تذكر ماضيه حتى لا يُحَمِّله غيره نتائج ما وقـــع فيـــه، قـــال تعـــالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣٦٧].

ذكر العلامة أبو السعود (ت:٩٨٢هـ) في معنى هذه الآيـــة أن الرؤســـاء سيتبرءون من الأتباع بأن يعترفوا ببطلان ما كانوا يدَّعونه في الدنيا ويـــدْعونهم إليه من فنون الكفر والضلال ويعتزلون عن مخالطتهم ويقابلوهم بـــاللعن كقـــول إبلـــيس ــ لمـــا قضـــى الأمـــر:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي

(٣٦٥) الإمام البقاعى ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ــ ج ١٣ص١٨٧.
(٣٦٦) الأنساب هي العلائق التي تكون بين الناس في دار الدنيا، ويعتقد كل واحـــد أنهـــا ســـنده ومنتهاه، فهو يعتمد عليها ويتناسى غيرها، ولذا سميت له بالأنساب نظرًا لتنوعهـــا فـــي دار الدنيا.
(٣٦٧) سورة البقرة:الآيتان(١٦٦ ــ١٦٧).

كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣٦٨] أو يتبرأ الأتباع من الرؤساء ، وتتقطع الوُصَل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك، وقال الذين اتَبعوا عندما عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتِّباعِهم لهم في الدنيا ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤوا منا اليوم. كذلك يريهم الله أعمالهم ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكَمد وهي تألُّم القلب وانحساره عما يؤلمه، والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم، وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار ، والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم[٣٦٩].

بل إن آيات القرآن الكريم تشير إلى أن الضعفاء والسادة في دار الدنيا المتبِعين والمتَّبَعين سوف يقع التلاوم بينهم في هذا الموقف كلٌ يتبرأ من أنسابه، ويتناسي جميع أسبابه، قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [٣٧٠]

وقال سبحانه:﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ

(٣٦٨) سورة إبراهيم:الآية(٢٢).
(٣٦٩) راجع للإمام أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ــ ج١ص١٨٧.بتصرف.
(٣٧٠) سورة إبراهيم: الآية (٢١).

لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾(٣٧١).

٢ـ الفرار المتبادل:

ومعناه أن يكون جميع الأفراد الذين كانت لهم صِلاةٌ في الدنيا علـى أي نحو كانت الصِلات، يفر بعضهم من بعض، فهو فرار جماعي. يـا ألله مـا هـذا الإعجاز الرائع!، الكل يفر من الكل، أما لماذا؟

فلأن كل نفس تجد ما قدمت قـال تعـالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٣٧٢)...(٣٧٣).

وتتحدث الآيات أن هذا الفِرار عند نفخـة الحسـاب ــ المعبَّـر عنهـا بالصاخة ــ ،يشمل الأخ، والأم، والأب، والصاحب، والصاحبة، والابن، والابنـة، إنه فرار جماعي، قال تعـالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ

---

(٣٧١) سورة الأعراف: الآيتان (٣٨ ــ٣٩).

(٣٧٢) سورة آل عمران: الآية (٣٠).

(٣٧٣) أخبر تعالى عن المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الـذي تـوفى فيـه النفوس بأعمالها كاملة موفرة لم تنقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: الآيتان:(٧ــ٨)] والخير: اسـم جامع لكل ما يُقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يُسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها، ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشدة حزنها، فليحذر العبد من أعمال السوء التي لا بد أن يَحزن عليها أشد الحُزن، وليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [سورة الزمر:الآية(٥٦)].راجـع للشـيخ السعدى ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ ج١ص١٢٨.

أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٣٧٤].

وهذه هى" النفخة الثانية يُصيخ الخلائق لاستماعها ،أو اسم للقيامة لإصاخة الخلق إليها من الفزع"[٣٧٥].

قال صاحب الكشاف (ت:٥٣٨هـ): "يقال: صخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا، لأنّ الناس يصخون لها، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه، ولعلمه أنهم لا يُغنون عنه شيئا، وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه. وقيل: يفرّ منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات.يقول الأخ: لم تواسنى بمالك. والأبوان: قصرت في برنا. والصاحبة: أطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت. والبنون: لم تُعَلمنا ولم تُرشدنا، ...﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ يكفيه في الاهتمام به"[٣٧٦].

و"الصاخة لفظ ذو جَرْسٍ[٣٧٧] عنيف نافذ، يكاد يَخرق صِماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقا، حتى يصل إلى الأذن صاخا ملحا! ،وهو يمهد بهذا الجَرْس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾، أولئك الذين

(٣٧٤) سورة عبس: الآيات (٣٣ــ٣٧).
(٣٧٥) الشيخ العز بن عبد السلام ــ تفسير القرآن ــ ج٣ص٤٢٢. تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ط: دار ابن حزم ــ بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م.
(٣٧٦) سورة عبس: الآيات (٣٣ــ٣٧).
(٣٧٧) جَرْسُ الحرف نغمته تقول: سمعت جَرْس الطير سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله.المعجم الوسيط ــ (باب الجيم) ص١١٧.

تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم ولكن هذه الصاخة تُمـــزق هـــذه الـــروابط تمزيقا، وتقطع تلك الوشائج تقطيعا.

والهول في هذا المشهد هول نفسي بَحْت، يُفزع النفس ويفصـــلها عـــن محيطها. ويستبد بها استبدادا. فلكل نفسه وشأنه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به، الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ،والظلال الكامنة وراء هذه العبارة وفي طياتها ظلال عميقة سحيقة. فمـــا يوجـــد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير، لتصوير الهم الذي يشـــغل الحـــس والضـــمير: ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾! ذلك حال الخلق جميعا في هول ذلك اليوم.. إذا جاءت الصاخة"(٣٧٨).

٣ـ التجاهل المتعمد:

ومعناه أن كل فرد مهما كان له من صديق أو حميم في دار الدنيا، فإنه في نفخة الحساب لا يتذكره، وإن الْتَقى به، فإنه لا يدركه، وإنما يتجاهله، وتسقط حينئذ الهامات، وترتفع فوق الجميع التساؤلات، ويتحدث كلٌ مع نفســـه أحاديـــث النفس المؤلمات، هل ينفع حميمٌ حميماً، أو يَسأل خِلٌ عن خليل، أو يدفع خليل عن خليل، لقد سقطت الأخلة، وتهاوت الصحبة، ودخلت آيات القرآن الكريم إلى نفوس الناس لحظة الحساب العظيم، وصورت كـــلاً بحالـــه. قـــال تعـــالى: ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾(٣٧٩).

يقول الإمام ابن كثير(ت:٧٧٤هـ):" يخبر تعالى أن العذاب واقع بالكافرين ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾ كدردي الزيـــت، ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴾

(٣٧٨) الأستاذ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ــ ج٦ص٣٨٣٤.
(٣٧٩) سورة المعارج:الآيات(٨ ــ ١٤).

كالصوف المنفوش(٣٨٠)، ولا يَسأل القريبَ عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره. وعن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٣٨١).

ويستدل ابن كثير على هذا المعنى بآيات قرآنية منها . قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٣٨٢). وقوله سبحانه: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾(٣٨٣). فلا يُقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهبا، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، ولا يُقبل منه ﴿وَفَصِيلَتِه﴾(٣٨٤) قبيلته وعشيرته. أو فخذه الذي هو منهم. أو

---

(٣٨٠) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة القارعة:الآية(٥)].
(٣٨١) سورة عبس: الآية (٣٧).
(٣٨٢) سورة لقمان: الآية (٣٣).
(٣٨٣) سورة المعارج: الآيات (٨ ــ ١٤).
(٣٨٤) الفَصِيلة: عشيرة الرجل المنفصلة عنه، المفردات للراغب، ص ٦٣٨، وتطلق على القطعة المفصولة من الجسد ،وتطلق على الآباء الأقربين وعلى الأولاد لأن الولد يكون مفصولا من الأبوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه أيضا فسمى فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية: الأقرباء الأدنون من القبيلة، وهم الأقرباء المفصول منهم، أي المستخرج منهم، فشملت الآباء والأمهات قال ابن العربي: قال أشهب: سألت مالكا عن قول الله تعالى: ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾ فقال هي أمه، ويفهم منها الأب بطريق لحن الخطاب فيكون قد استوفى ذكر أقرب القرابة بالصراحة والمفهوم، وأما على التفسير المشهور فالفصيلة دلت على الآباء باللفظ وتستفاد الأمهات بدلالة لحن الخطاب.وقد رتبت الأقرباء

أمه التي انفصل عنها"[٣٨٥]. والآيات فى هذا المعنى كثيرة[٣٨٦].

لا يغربن عن ذي بال أن النفخ في الصور طبقًا لمـــا ورد فـــي الآيـــات القرآنية يُقدم معطيات ذات طبيعة استدلالية تقدم للعقل الواعي الغيبيات في صور جلية تدفعه دفعًا إلى أن يتأمل موقفه ماذا يفعل عندما يلاقي ما قدمت يـــداه فـــلا تنفعه خُلة دنيوية، ولا ما جمع من أموال، وعاريات مستردة، كلها كانت دنية.

كما قال القائل:[٣٨٧]

ألا إنمـــا الـــدنيا كَظِـــلّ ســـحابة أظلتـــك يومـــا ثـــم عنـــك اضـــمحلتْ

فـــلا تـــك فرحانـــا بهـــا حـــين أقبلـــتْ ولا تـــك جزعانـــا إذا هـــى ولَّـــتْ

إن لقاء الله تعالى حقيقة أبدية وعقيدة دينيـــة تطمـــئن إليهـــا القلـــوب الصافية، وتتمسك بها النفوس ذات الطبيعة المتمسكة بالشريعة الربانية.

الخاتمـــــة

من البين أن الخاتمة تمثل نهاية العمل العلمي، ومن ثم فهي تتضمن أهم النتائج، وأبرز التوصيات، كما يتم من خلالها تقديم بعض المقترحات، فذلك شـــأن الباحث العلمي من الناحية المنهجية، وبناء عليه فإني أقدم ما يلي:

على حسب شدة الميل الطبيعي في العرف الغالب لأن الميل الطبيعي ينشأ عـــن الملازمـــة وكثرة المخالطة.ولم يذكر الأبوان لدخولهما في الفصيلة قصدا للإيجـــاز.التحرير والتنـــوير، ج٢٦ص ١٦١. وراجع للشيخ البروسوى، روح البيان، ج١٠ص ١٦٠.

(٣٨٥) راجع للإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج ٨ ص٢٢٥.

(٣٨٦) تحدثت آيات القرآن الكريم عن هذا المعنى ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَلَـــا تَـــزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَـــيْءٌ وَلَـــوْ كَـــانَ ذَا قُرْبَـــى﴾ [ســـورة فاطر:الآية(١٨)] .

(٣٨٧) لم استطع معرفة القائل بعد طول بحث،غير أن جمعا من المفسرين ذكروا هذين البيتـــين بدون نسبة منهم الشيخ البروسوى، فى تفسير روح البيان.ج ٥ ص ٤٢٦.

أولاً ـ أهم النتائج:

١ــ أن القرآن الكريم تحدث عن العالم المشاهَد، فلم يترك صغيرة ولا كبيـــرة إلا صنَّفها، ووصفها، وبيَّن وظائفها، حتى يكون الناظر فيها على وعي بأن هذا الكتاب الكريم، تنزيل رب العالمين، وأنه فيه مصالح الخلق أجمعـــين، قـــال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣٨٨).

٢ــ أن آيات القرآن الكريم قدمت الصُوَر المُثلى للمناهج العلمية في التعامل مـــع جزئيات العالم المشاهد على ناحية واقعية، تحدثت عن أصل الإنسان وبنيته. قال تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(٣٨٩)، وتحدثت عـــن طعامـــه. قـــال سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٣٩٠)، وتحدثت عن مُبتدئه ومنتهاه، قال جل جلاله: ﴿ فَلْيَنظُرِ

(٣٨٨) سورة الأنعام: الآية (٣٨).
(٣٨٩) سورة المؤمنون: الآيات (١٢ــ١٤).
(٣٩٠) سورة عبس: الآيات (٢٤ــ٣٢).

ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾(٣٩١).

وفي هذا توجيه للعقل حتى إذا حاول الشيطان استلاب هدوئه منه، تنبه لـــه، وانصرف عنه(٣٩٢).

٣ــ أن الآيات القرآنية تحدثت عن العالم الغائب بما تطيقه العقول الإنسانية حتى صارت قضايا البعث كأنها مصورة أمامه يراقب وضعه بينها أيُهـــا يختـــار، وسوف يَجني ما قدم بهذا الاختيار، إن أحسن فلنفسه وإن قَصَّر فعليها، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(٣٩٣).

٤ــ أن الآيات القرآنية قدمت الصُوُر، والنفخ فيه مع أنهما من الأمور الســـمعية حتى صار كل منهما أمام العقل الواعي له ملامح ذاتية لا تُخطئها عَينُ العقل، إذا كانت تقية، وبينت أن الصُوُر، والنافخ فيه وما يترتب عليه ، كل ذلك من صنع رب البرية، لا يشاركه أحد فيما صَنع، ولا يشاركه أحد في ملكه، هـــو الحكيم، هو القادر، هو خالق الأرض والكائنات العلوية برحمته يـــرحم مـــن يشاء، وبِعَدْله يعذب أصحاب الأعمال الشقية، ميزانه عدل، فالعدل من أسمائه الحسنى وصفاته العلية.

---

(٣٩١) سورة الطارق: الآيات (٥ــ٩).

(٣٩٢) هذا هو حال المتقين من عباد الله الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا مـــا عنـــه زجـــر، إذا أصابهم طائف من الشيطان أو همَّوا بذنب. تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب. فإذا هم مبصرون قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه.يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَـــمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُـــمْ مُبْصِـــرُونَ﴾ [ســـورة الأعراف: الآيتان (٢٠٠ــ٢٠١)]. ومثله قوله سبحانه:﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّـــيْطَانِ نَـــزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[سورة فصلت:الآية(٣٦)].

(٣٩٣) سورة الإسراء:الآية(٧).

٥ــ صَنّفَتْ الآياتُ القرآنية النفخ في الصور، وبيَّنَت المواقف التي تـدور فيهـا الأمور حتى لا تغيب عن العقل الواعي حركة من حركات الكون الغائب، بـل يراها كأنها حاضرة أمامه تلامس عقله، ولا تجور، وتنقله من مشـهد إلـى مشهد، كأنها يد حانية تأخذ به، وإلى جنبات الملأ الأعلى تدور، حتى يفطـن ذو العقل إلى صنع المليك الغفور.

٦ــ نَقَلت الآياتُ القرآنية ما يجري في منتهى الحياة الـدنيا ، وقدمتـه للعقـل الواعي حتى ينظر المبتدأ، فإذا هو نفخة بأمر الله(٣٩٤)، وينظر المنتَهى، فإذا نفخة من أمر الله، ثم هو في حياته البرزخية بأمر الله، وعندما يخرج للحياة الآخرة فهو بأمر الله، ولا يغيب شيء أبدًا عن أمره جل علاه: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(٣٩٥).

٧ــ مهدت الآيات القرآنية للعقل الواعي صور الانتقال من مرحلة إلى التي تليها، فصارت كأنها مشاهداتٌ حسية، مع أنها في الحقيقة أمور غيبية، فصار الأمر أمامه سيان يختار الحياة الأبدية، ناعمة هادئة في جنات عُلوية، أم يختارها نارًا حامية يتلظى فيها تفر منه زوجه، وأهله، وتبرأ الذرية، أيهمـا يختـار صاحب العقل الواعي، والنفس الكريمة الأبية، وعدل الله قائمٌ لا يظلم أحـدًا: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا

(٣٩٤) المراد بها النفخة التى بها تم خُلق آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سـورة ص:الآيتان(٧١ ــ٧٢)].

(٣٩٥) سورة يس: الآية (٨٢).

مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾(٣٩٦).

٨ــ أنَّ النفخ في الصُوُر طبقاً لما وردت به الآيات يمثل حقيقة يقينية يجب الاتجاه إليها أولاً فتكون هي المصدر الأول للقضايا الغيبية، ثم يأتي بعدها ما صح من سُنِّة المصطفى خير البرية، حينئذ يكون الباحث المنصف قد التزم طريقة منهجية أشارت إليها النصوص الشرعية وتبنتها العقول الواعية في خطواتها المعرفية.

٩ــ أشارت الآيات القرآنية إلى أن السمعيات الغيبية يجب الاعتماد فيها على النقل المُنزَّل بعيدًا عن التصورات الإنسانية، حيث لا يعرف أحد حقيقة الغيب إلا خالقه رب البرية، ولا يُدلي العالَمون جميعًا بما في الغيب وإنما يُخبر به الله من شاء وارتضى من رسله فهم المصطفون من عنده للبشرية، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾(٣٩٧).

١٠ــ أن ما يتعلق بعدد النفخات أمر اعتباري(٣٩٨) من حيث إن الأحاديث الواردة بشأنها إنما تتحدث عن نفختين من حيث ما بينهما، وليس ذلك على سبيل الحصر لها، والفرق بين الأمرين كبير لمن تأمله، كما أن الظواهر النقلية أشارت إلى (أُخْرى)(٣٩٩)، ولم تشر إلى أولى أو ثانية، بدليل قوله تعالى:

---

(٣٩٦) سورة الكهف: الآية (٤٩).
(٣٩٧) سورة الجن: الآيات (٢٦ــ٢٨).
(٣٩٨) الاعتباري: معناه القائم في ذهن صاحبه، وليس بلازم في أفهام الآخرين.
(٣٩٩) كلمة ﴿أُخْرَى﴾ قائمة مقام الفاعل، وهي في الأصل صفة لمصدر محذوف أي: نُفخ فيه نفخة أخرى. ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو القائم مقام نائب الفاعل وأخرى صفة

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾(٤٠٠)، وهـــو وصف لا عدد، وبناء عليه فمَن قال بالعدد ربما حَمَّل النص ما لم يَرد بـه نقلٌ صحيح من ناحية العدد.

١١ــ أن المُسلم وقَّاف عندما يرد به النص تطبيقًا لقاعدة أصـولية عمادهـا لا اجتهاد مع النص(٤٠١)، وبخاصة أن الأصوليين يقولون: النص عبارة غيـر قابلة للتأويل، ومرادهم به النص القطعي في وروده ودلالته.

١٢ــ أن المتأمل في الآيات القرآنية يجد النفخ في الصُور قد ورد في مواضـع متعددة سلفت الإشارة إليها، والأجدر بالقبول أن يتم فهم المراد مـن خـلال واقع الآيات الواردة في ذات السورة مع التزام ما تفرضه الوحدة العضـوية القائمة بين بناءات النص ذاته إذ لا يعقل أن يتم استصحاب فكرة أو انتزاعها من سياقاتها لتتأيد بها أخرى تحت مظلة أن النص يُفَسر بالنص، أو يُؤَوَل به إذ ليس ذلك على إطلاقه، وإنما إذا وجدت وحدة موضوعية، ويكون ذلك من

لمصدر محذوف نابت عنه أي فهي مفعول مطلق، إعراب القرآن وبيانه، محيي الـدين بـن أحمد درويش ط: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حِمص، سورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ. وانظر الدر المصون ــ ج٩ص ٤٤٥.

(٤٠٠) سورة الزمر: الآية (٦٨).

(٤٠١) القاعدة الأصولية:" لا اجتهاد مع النص"أو"لا اجتهاد في موضع النص" ،المراد به الـنص القطعي في ثبوته ودلالته، لا مطلق النص. وهذه القاعدة تفيد تحريم الاجتهاد في حكم مسألة ورد فيها نص من الكتاب أو السنة أو الإجماع لأنه إنما يُحتاج للاجتهاد عنـد عـدم وجـود النص،أماعند وجوده فلا اجتهـاد إلا فـي فهـم الـنص ودلالتـه. يقـول الشـيخ محمـد الخضرى:"المجتَهدُ فيه هو:كل حكم شرعى ليس فيـه دليـل قطعى".أصـول الفقـه ــ ص ٣٦٩.ط المكتبة التجارية بمصر ــ الطبعة السادسة ــ١٣٨٩ه ــ١٩٨٩م. وراجع الـدكتور محمد صدقي الغزي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية، ص٣، ط: مؤسسـة الرسـالة، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م. وراجع للدكتور محمد مصـطفى الزحيلـي. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،ج١ص ٤٩٩، ط: دار الفكـر ــ دمشـق ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ ــ ٢٠٠٦م.

قبيل التكامل الذي يدخل فيه فهم النص من خلال النص، ويعرف عند علماء التفسير باسم " تفسير القرآن بالقرآن" ، عند من يرى ذلك(٤٠٢).

١٣ــ أن مفهوم النفخ وتنوع مجيئه مع كون الصُور واحدًا فيه دلالة إعجازيـــة تشير إلى ظاهرة قرآنية هي التأكيد على تعدد الحدث مع اســـتمرار فاعلـــه، فالنافخ واحد، والمنفوخ فيه واحد، أما المترتب عليه أو موضـــوعاته فهـــي متعددة بتعدد المواقف، وهو من طبيعة الإعجاز القرآنـــي، والتعامـــل مـــع السمعيات، والغيبيات على هذا النحو فيه إضافة جديدة يمكن الاستفادة بهـــا، وهو ما يعرف باسم توظيف العقل في فهم النقل.

ثانياً ـ أهم التوصيـــــات:

توصي الدراسة بالعديد من التناول الهادف للجزئيات السمعية والقضـــايا المتعلقة بها على وجه الخصوص، منها:

١ــ تناول الأمور السمعية من خلال الآيات القرآنية مباشرة، فإذا كان من الضروري تَفَهُّم ما تدلى به النصوص حول شيء من تلك السمعيات على ناحية إضافة معلومات تتعلق بالمفاهيم، فإن السُنَّة المطهرة الصحيحة تكون هي الرصيد الذي يؤخذ منه باعتبار أن السنة بالنسبة للقرآن لها وضع المؤاخاة، فهي تُفَصل مجمله، وتُقيِّد مطلقه. والمدلول عليها بظاهر قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾(٤٠٣).

---

(٤٠٢) ذكر الإمام ابن تيمية أن :" أصح الطرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمِل فـــي مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر". مقدمة في أصول التفسير، ص ٢٥٣، بشرح الدكتور ــ مساعد الطيار ــ ط دار ابن الجـــوزي ــ الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـــ.

(٤٠٣) سورة القيامة: الآيات (١٧ــ١٩).

وقــوله عــز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤٠٤]، وقوله ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله)[٤٠٥].

٢ــ التأكيد على أن السمعيات متعددة، وأن التسميات الواردة لها توقيفيــة مــن حيث هي كاسم الصراط، واسم الحوض، واسم الميزان، واسم الحشر، واسم الصور، أما الحقيقة فيجب التفويض فيها إلى علم الله تعالى، وحــذار مــن الخوض الذي يقوم به ذووا الفهم الضــيق، فيضــيفون إليهــا تصــوراتهم الساذجة أو ما تمليه عليهم عقولهم ذات المراحل الطفولية، فقد يكفر الواحد منهم بعد إيمان، وبخاصة إذا أنكر ما قد ورد ذكره عن الواحد الديان، وجاء في آيات قطعية الورود، فليس بعد بيان الله بيان، فمنكر البعث خارج عــن ملة الإسلام، ومنكر عذاب القبر يُكذِّب النصوص الواردة في ظــاهر آيــات القرآن، وصحيح السُنَّة.

٣ــ ضرورة التركيز على الجوانب الاســتهدافية التــي وردت بهــا النصــوص الشرعية من حيث إن القرآن الكريم كتاب هداية بجانب كونه شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين، وهو في ذات الوقت يقدم كافة المعطيات التي تحتاج إلى التأمــل، وتتم الاستفادة بها على الوجوه المختلفة.

---

(٤٠٤) سورة النحل: الآية (٤٤).

(٤٠٥) أخرجه الإمام مالك ــ فى الموطأ ــ كتاب الجامع ــ باب النهي عن القول بالقدر .الموطأ بتحقيق الأعظمى ــ ج٥ ص ١٣٢٣، حديث(٦٧٨) قال الإمام الزرقــاني: مــر أن بلاغــه صحيح كما قال ابن عيينة، وقد أخرجه ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمــرو بن عوف عن أبيه عن جده، وعزاه للحاكم. شرح الموطأ ج٤ص٣٠٧، ط دار الكتب العلمية بيروت.وله شاهد من حــديث ابــن عبــاس، أخرجــه الحــاكم فــى المســتدرك ج١ص ١٧٢حديث(٣١٩) ، وقد صح من غير بلاغ الموطأ في غير حديث. وصححه الألباني فى ــ صحيح الجامع الصغير وزياداته ــ ج١ص ٥٦٦، حديث (٢٩٣٧).

٤ــ ضرورة إدخال السمعيات في جزئياتها إلى قسم التفسير بحيث تكون ضـــمن مقرراته، وتسجل فيها دراسات علمية وأبحاث ذات طبيعة قرآنية، حتـــى لا يبقى الميدان خاليًا من جهود أولئك العلماء، وبخاصة أنه ما من مفســـر إلا وقد لمس جانبًا من جوانب السمعيات، أما إذا وُضعت على الناحية الدراسية، فإن الأمر سيختلف، وسنرى جوانب مضيئة تّرُدُّ على أولئك الذين ينكـــرون كثيرًا من السمعيات بشبهات واهية، فمنهم من أنكر نعيم القبـــر وعذابـــه، ومنهم من أنكر الحياة البرزخية وتهكَّم على القائلين بها وسَخِر منهم ففـــتح الباب للإفساد وربما التكذيب بآيات الله(٤٠٦).

٥ــ ضرورة وضع السمعيات في إطار دراسي بحيث تكون جزءًا مـــن الأبحـــاث التي تتم بها الترقية إلى الدرجات الأعلى، إذ ليس من المعقول أن تأتي فـــي القرآن سورة تسمى بسورة الحشر، ولا يعلم الكثيرون عنها إلا أنها متعلقة باليهود الذين ساكنوا المسلمين في المدينة، مع أن الحشر إذا أطلق لفظـــه فُهِم من أول وهلة أنه المتعلق بالآخرة، فصَرْفه إلى جانب واحد من أنـــواع الحشر فيه تضييق لما جاء مُوسعًا من عند الله أو تخصيص بغيـــر وجـــود مخصص قوي.

٦ــ ضرورة الاهتمام بوضع إطار توظيفي لجهود المفسرين تنعقد به المقارنـــة بين الناتج وبخاصة لدى المفسرين بالمأثور والمفسرين بـــالرأي، إذ يبـــدو للقارئ من أول وهلة أن كل منهما يمضي في اتجاه بعيد عن الآخر، مع أن الجميع يؤدي خدمة واحدة لكتاب واحد هو القرآن الكريم الذي نزل من عند الله الواحد، رب العالمين على قلب النبي الواحد ــ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. فهذا التباين لا يخدم القضية الأساسية التـــي نحـــن بصـــددها،

(٤٠٦) وقع ذلك الإنكار فى عصرنا الحاضر من بعض من ينتسبون إلى الإعلام ،وبعض مدعى العلم ،جهلا أو قصدا.

وأعني بها قضية تفهيم كتاب الله تعالى، وتفهمه وإمكانيـــة إيصـــاله إلـــى المتلقين بهداياته وأحكامه وغاياته.

ثالثاً ـ المقترحـــــات:

تعتبر المقترحات من المهام الأساسية لأي باحث معرفي من حيث إنـــه يقدم خدمة علمية لزملائه من الباحثين عن موضوعات تتم بها أبحاثهم العلميـــة، وكلما استطاع الباحث الإنصات إلى صوت عقله الواعي بان له أن هناك العديد من الموضوعات التي لم تنل حظها من الدراسة المستقلة، وتستصرخه العمـــل علـــى إتمام بنائها، وإقامة أركانها بحيث تؤتي ثمارها، ومن أجـــل ذلـــك أقـــدم أبـــرز المقترحات:

١ــ علاقة السمعيات بالغيبيات في الآيات القرآنية دراسة موضوعية.
٢ــ الإيمان بالنفخ في الصور وأثره في الرد على الملحدين.
٣ــ التفسير بالرأي وموقفه من السمعيات.
٤ــ جهود المفسرين بالمأثور لعرض قضايا البعث الأخروى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصـــــادر

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

القرآن الكريم ــ جل من أنزله ــ

١ــ البحر المحيط في التفسير ــ العلامة ــ أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل ط: دار الفكر ــ بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٢ــ الإتقان في علوم القرآن للإمام: السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

٣ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٤ــ إعجاز القرآن ــ للإمام أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري.تحقيق ،السيد أحمد صقر ــ ط دار المعارف بمصر.

٥ــ التحرير والتنوير ــ الأستاذ محمد بن الطاهر بن عاشور، ط الأولى، ط.والدار التونسية للنشر ــ تونس ١٩٨٤م.

٦ــ الإعجاز في دراسات السابقين ــ للأستاذ عبدالكريم الخطيب ــ ــ.ط دار الفكر ــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

٧ــ الإعجاز في نظم القرآن ــ للدكتور ــ محمود السيد شيخون ــ ،ط مكتبة الكليات الأزهرية ــ مصر،الطبعة الأولى١٣٩٨ه ــ ١٩٧٨م.

٨ــ إعراب القرآن وبيانه ــ محيي الدين بن أحمد درويش ط: دار الإرشاد للشئون الجامعية ــ حِمص ــ سورية ــ الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

٩ــ البرهان في علوم القرآن للإمام: الزركشي ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار إحياء الكتب العربية البابى الحلبي ــ مصر. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م.

١٠ــ التسهيل لعلوم التنزيل ــ العلامة أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُـزي ــ تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي ط: دار الأرقم ــ بيروت الطبعة: الأولـى ــ ١٤١٦هـ.

١١ــ تفسير القرآن للإمام أبو المظفر، منصور بن محمـد بـن عبـد الجبـار السمعاني تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عبـاس غنـيم ط: دار الـوطن، السعودية الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.

١٢ــ تفسير القرآن العظيم ــ العلامة أبو الفداء إسماعيل بن عمـر بـن كثيـر القرشي ،تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبـة للنشـر والتوزيـع ط ٢ ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م.

١٣ــ تفسير القرآن ــ الشيخ العز بن عبد السلام، تحقيق الدكتور عبـدالله بـن إبراهيم الوهبي ط: دار ابن حزم ــ بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

١٤ــ تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، الإمام الشيخ محمد عبـده، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

١٥ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ــ الإمام العلامة السمين الحلبى ــ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ــ ط: دار القلم، دمشق.

١٦ــ تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة"، الإمام أبـو منصـور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط: دار الكتـب العلميـة، بيـروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٧ــ تفسير المراغي العلامة الشيخ أحمد مصطفى المراغي، ط مصطفى البـابي الحلبي بمصر الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ــ١٩٤٦م.

١٨ــ تفسير روح البيان ــ الشيخ الإمام إسماعيل حقى البورسوي، ط دار الفكر ــ بيروت.

١٩ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط: مؤسســة الرســالة، بيروت ط الأولى١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

٢٠ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، العلامة أبو جعفر محمد بــن جريــر، الطبري ــ تحقيق: محمود محمد شاكر ط: مكتبة ابــن تيميــة، القــاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

٢١ــ الجامع لأحكام القرآن ــ العلامة أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ط الثانية ط ــ دار الشعب ــ القاهرة ١٣٧٢هـ ــ١٩٥٢م .

٢٢ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ــ العلامة الألوسي البغدادى، ط دار الفكر ــ بيروت ١٤١٤ه،١٩٩٤م.

٢٣ــ زاد المسير في علم التفسيرــ للإمام جمال الدين بن الجوزي ــ تحقيــق: عبد الرزاق المهدي ــ ط: دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولــى ١٤٢٢هـ.

٢٤ــ في ظلال القرآن ــ الأستاذ ســيد قطــب إبــراهيم ــ ط دار الشــروق ــ القاهرة. الطبعة: السابعة عشر ١٤١٢هـ.

٢٥ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويــل، للإمام أبوالقاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ط: دار الكتــاب العربــي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢٦ــ لباب التأويل في معاني التنزيل، الإمام: أبو الحسن علاء الدين علــي بــن محمد الخازن تحقيق: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيــروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٧ــ محاسن التأويل للإمام القاسمى ــ تحقيق: محمد باسل عيون السود ــ ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨ــ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام: أحمد بن محمـــود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي وزميله،ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ــ١٩٩٨م.

٢٩ــ معاني القرآن وإعرابه ــ الإمام أبو إسحاق الزجاج ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ،ط: عـــالم الكتـــب ــ بيـــروت ــ الطبعـــة: الأولـــى ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

٣٠ــ مفاتيح الغيب ــ التفسير الكبير ــ للإمام: أبو عبد الله محمـــد بـــن عمـــر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ــ ط: دار إحيـــاء التـــراث العربـــي ــ بيروت الطبعة الثالثة ــ ١٤٢٠هـ.

٣١ــ المنتخب في التفسير ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ مصر.

٣٢ــ مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية، شرح الدكتور، مســـاعد بـــن سليمان الطيار، ط دار ابن الجوزي ــ الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ.

٣٣ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الإمام البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التـــراث العربـــي ــ بيـــروت الطبعـــة الأولـــى ١٤١٨هـ.

٣٤ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الإمـــام ابـــن عطيـــة، تحقيـــق: عبدالسلام عبدالشافي محمد ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٥ــ معالم التنزيل ــ للإمام البغوى ــ تحقيق : عبد الرزاق المهـــدي ،ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٦ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام: السيوطي ، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـــ ــ ١٩٨٨م.

٣٧ــ النّظم القرآني فِي كشاف الزمخشرى، للـــدكتور. درويـــش الجنـــدي ، دَار نهضة مصر، ١٩٦٩م.

٣٨ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للإمام: أبو بكر إبراهيم بن عمـــر بن حسن الرباط البقاعي ــ ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٩ــ النكت والعيون، تفسير الماوردي للإمام: أبو الحسن علي بن محمـــد بـــن محمد البغدادي، بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبدالرحيم ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانيًا ـ كتب السُنَّة وعلومها:

٤٠ــ سنن أبي داود، تحقيق: محمـــد محيـــي الـــدين عبدالحميـــد، ط: المكتبـــة العصرية، صيدا، بيروت.

٤١ــ سنن الترمذي للإمام: أبو عيسى محمد بن عيسى بـــن سَـــوْرة الترمـــذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ط: مصطفى البابي الحلبـــي، مصـــر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ــ١٩٧٥م.

٤٢ــ شرح الجرداني على الأربعين حديث النووية، وله عنـــوان فرعـــي هـــو: "الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية" العلامة الشيخ محمـــد بـــن عبدالله الدمياطي، ط محمد علي صبيح.

٤٣ــ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للشـــيخ: محمـــد بـــن عبـــدالباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف ســـعد، ط: مكتبـــة الثقافـــة الدينيـــة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٣م.

٤٤ــ صحيح البخاري ــ للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ،تحقيق ــ محب الدين الخطيب، وآخرون ــ المطبعة السلفيةــ بمصـــر، الطبعـــة الأولى ١٤٠٠هـــ..

٤٥ــ صحيح الجامع الصغير وزياداته ــ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

٤٦ــ صحيح مسلم للإمام: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٤٧ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ الإمام ابن حجر العسقلانى، تحقيق: الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، محب الـدين الخطيـب ،ط ،دار المعرفـة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٨ــ المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيـق مصطفى عبدالقادر عطا ــ ط: دار الكتب العلمية ــ بيـروت ــ الطبعـة: الأولى ١٤١١هـ ــ١٩٩٠م.

٤٩ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شـاكر ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٥م.

٥٠ــ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للإمام العراقى "مطبوع بهامش إحياء علوم الـدين"، ط: دار ابـن حـزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.

٥١ــ الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن عامر، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمـي، ط: مؤسسة زايد بن سلطان للأعمال الخيرية، أبو ظبي، الإمارات، الطابعة الأولى ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م.

ثالثًا ـ المعاجـــــم:

٥٢ــ أساس البلاغة ــ العلامة الزمخشري ــ تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ــ١٩٩٨م.

٥٣ــ تاج العروس من جواهر القاموس ــ الإمام: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ط: دار الهداية.

٥٤ــ تهذيب اللغةــ العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهـري تحقيـق: محمد على النجـار. ط: الـدار القوميـة للطباعـة، القـاهرة، الطبعـة: الأولى،١٣٨٤هـ ــ١٩٦٤م.

٥٥ــ جمهرة اللغة ــ للإمام أبو بكر بن دريد الأزدي، تحقيـق: رمـزي منيـر بعلبكي، ط: دار العلم للملايين ــ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٥٦ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيةــ العلامة الجوهري، تحقيق ــ أحمد عبد الغفور عطا ــ ط دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.

٥٧ــ القاموس المحيط ــ العلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي ط: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.

٥٨ــ لسان العرب ــ العلامة ابن منظور. ــ تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون. ط دار المعارف ــ مصر ــ و ط: دار الفكر ــ بيروت ط: ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

٥٩ــ مختار الصحاح، للإمام أبي بكر الرازي ــ تحقيق: يوسف الشيخ محمد ــ ط: المكتبة العصرية ط بيروت ــ الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

٦٠ــ المخصص ــ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ــ تحقيق: خليل إبراهيم جفال ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولى، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٦م.

٦١ــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ــ الإمام: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي ــ ط: المكتبة العلمية ــ بيروت.

٦٢ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار الريان للتراث ــ دار الحديث ،القاهرة ١٤٠٧هـ ــ١٩٨٧م.

٦٣ــ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية . ط وزارة التربية والتعليم مصر ١٤٢٧هـ ــ٢٠٠٦م.

٦٤ــ المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى ــ أحمد حسن الزيات ــ مجمع اللغة العربية ــ مصر.

٦٥ــ معجم مصطلحات أصول الفقه ــ للدكتور ــ قطب مصطفى سانو ــ ط،دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠ه ــ٢٠٠م.

٦٦ــ معجم مفردات ألفاظ القرآن ــ الإمام الراغب الأصفهاني ــ تحقيق: نـــديم مرعشلى. ط دار الفكرــ بيروت.

٦٧ــ معجم مقاييس اللغة ــ للعلامة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريـــا، ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط الحلبي الثانية ١٣٩١هـ ــ١٩٧١م.

رابعا: المصادر العامة:

٦٨ــ إحياء علوم الدين ــ الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق د بدوي طبانه.

٦٩ــ أسماء الله الحسنى دراسة فى البنية والدلالةــ للدكتورــ أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب مصر ــ الطبعة الأولى١٤١٧هــ ١٩٩٧م.

٧٠ــ الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبى، تحقيـــق أ.د محمـــد حسن جبل. ط دار الصحابة مصر. ط الأولى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م.

٧١ــ أصول الفقه، الشيخ محمد الخضرى. ط المكتبة التجارية بمصر، الطبعـــة السادسة ١٣٨٩هـ ــ١٩٨٩م.

٧٢ــ إعجاز القرآن فى حواس الإنسان للدكتور محمد كمال عبدالعزيز، ط مكتبة القرآن، القاهرة.

٧٣ــ الأعلام، لخير الدين الزركلى ط: دار العلم للملايين،الطبعة: الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢ م.

٧٤ــ الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبـــد الله محمـــد الخليلي،ط: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـــ ــ ٢٠٠٤م.

٧٥ــ الإلحاد أسبابه وعلاجه ــ للإمام الشيخ ،محمد الخضر حسين، ط مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ ــ١٩٨٦م.

٧٦ــ الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف ــ الدكتور عمر عبدالله كامل، ط مكتبـــة الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع، المدينة المنورة.
٧٧ــ الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي ــ للدكتورـــ محمـــد حســـيني موسى الغزالي، ط آل بسيونى. الطبعة العاشرة ٢٠١١م.
٧٨ــ الباقلاني وكتابه إعجاز الْقُرْآن. دراسة تحليلية نقدية، للدكتور. عبدالرؤوف مخلوف ــ.مكتبة الْحَيَاة ــ بيروت.
٧٩ــ البعث فى القرآن الكريم تأصيل وتقسيم للدكتور إبراهيم عبـــاس ســـلمان، بحث منشور، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهـــر(أســـيوط)، العددالثلاثون١٤٣٣هـ ــ٢٠١٢م.
٨٠ــ تاريخ العرب في الإسلام ــ للدكتور محمود زيادة، ط الثالثة ١٩٧١م.
٨١ــ تدبر القرآن وإصلاح المجتمع الدكتور محمد حسيني الغزالـــي، ط الثانيـــة ١٤٣١هـ ــ٢٠٠٩م.
٨٢ــ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة الإمام: أبو عبدالله القرطبي تحقيق: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ــ ط: مكتبة دار المنهـــاج للنشـــر، الرياض ــ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٨٣ــ التعريفات، للإمام الجرجانى، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشـــر، ط: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م.
٨٤ــ تفسير أسماء الله الحسنى ــ للإمام: أبو إســـحاق الزجـــاج ــ تحقيـــق ــ أحمد يوسف الدقاق ،ط: دار الثقافة العربية .
٨٥ــ التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة ــ للإمام أبـــي بكـــر البـــاقلاني، تحقيق الدكتورــ محمد أبو ريده، وآخـــرون، الطبعـــة الأولـــى القـــاهرة ١٩٤٧م.
٨٦ــ جوهر التقوى ــ الشيخ طنطاوى جوهرى ــ المطبعة الرحمانية مصـــر ــ الطبعة الثانية ١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٤م.

٨٧ــ حاشية الباجورى على جوهرة التوحيـد ــ للشـيخ البـاجورى ــ.تحقيق الدكتور ــ على جمعه ــ ط دار السلام ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى١٤٢٢ه ــ٢٠٠٢م.

٨٨ــ حاشية على السمرقندية في علوم البلاغة ــ الشيخ إبراهيم البـاجوري، ط الحلبي ١٩٣٨م.

٨٩ــ حاشية على شرح الخريدة الهنية للعلامة أبي البركات أحمـد بـن محمـد الدردير المالكي، للعلامة الشيخ محمد بن أبي السعود صـالح السـباعي، تحقيق السيد بن علي السيد عبدالرحمن الهاشمي، الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة ١٤٢٣هـ.

٩٠ــ حاشية على متن السنوسية في علم التوحيد، الشيخ إبراهيم الباجوري، ط الحلبي ١٣٧٤هـ ــ١٩٥٥م وبالهامش تقريرات الشيخ شمس الدين محمد الإمبابي، شيخ الجامع الأزهر.

٩١ــ الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النارــ غالـب بـن علـى عواجى ــ ط دار لينه للنشر.ط الأولى ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م.

٩٢ــ دلالة السياق للباحث ــ ردّة الله بن ردّه بن ضـيف الله الطلحـى رسـالة دكتوراه ــ كلية اللغة العربيةــ جامعـة أم القـرى ــ المملكـة العربيـة السعودية ــ ١٤١٨هـ.

٩٣ــ الرد على الدهريين، للشيخ جمال الدين الأفغانى،تحقيق:محمد حامد محمد . ط دار الفكر.

٩٤ــ الزمان المقدر في علم الله الأزلي ــ بـين المثبتـين والنـافين ، رسـالة دكتوراه، للباحثة سمر عبدالفتاح، كلية الدراسـات الإسـلامية والعربيـة بالقاهرة،١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤م.

٩٥ــ الزهد الكبير للإمام البيهقى ــ تحقيق: عامر أحمد حيدر،ط: مؤسسة الكتب الثقافية ــ بيروت.الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦م.

٩٦ــ الشامل فى أصول الدين ــ لإمام الحرمين ــ الجويني ، تحقيق الــدكتور علي سامي النشار وآخرون، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٧م.

٩٧ــ شرح العقيدة الطحاوية، الإمام علاء الدين ابن أبي العز الحنفي ، تحقيــق: الشيخ أحمد شاكر، ط وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقــاف، الســعودية. الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٩٨ــ علم النفس الإسلامي، للأستاذ معروف زريــق، ط دار المعرفــة ،دمشــق الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٩م.

٩٩ــ الغزاليات في السمعيات ــ الدكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي، ط الخامسة، ط آل بسيوني ١٤١٨هـ ــ١٩٩٧م.

١٠٠ــالفتاوى الكبرى ــ للإمام ابن تيمية ط: دار الكتب العلميــة ــ بيــروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٧م.

١٠١ــالفيزياء من منظور بحثي ــ جورج إسكندر بيتر، ترجمة سعد فــتح الله، مكتبة المنتزة ١٩٩٩م.

١٠٢ــالفيزياء والميكروفيزياء ــ للدكتورــ أ.ب وايت، ترجمة ــ عبدالله السيد رضوان، ط مكتبة فوزي رزق ١٩٩١م.

١٠٣ــالقرآن وعلم النفس ــ للدكتور محمد عثمان نجاتى ــ ط دار الشروق ــ القاهرة الطبعة السابعة١٤٢١هــ٢٠٠١م.

١٠٤ــالقواعد الفقهية وتطبيقاتها في المــذاهب الأربعــة ــ للــدكتور. محمــد مصطفى الزحيلي. ط: دار الفكر ــ دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هــ ــ ٢٠٠٦م.

١٠٥ــالقوى العقلية "الحواس الخمس" ــ لمايكل هاينز ــ ترجمة الدكتور ــ عبد الرحمن الطيب ــ ط الأهلية للنشر ــ الأردن ــ الطبعة الأولى ــ

١٠٦ــالقيامة الكبرى للدكتور ــ عمر سليمان الأشقرــ ص٣١ وما بعــدها، ط دار النفائس الأردن، الطبعة السابعة١٤١٨هــ١٩٩٨م.

١٠٧ــكتاب العظمة ــ أبو محمد الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني ــ تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المبــاركفوري، ط: دار العاصــمة ــ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ه.

١٠٨ــكشاف اصطلاحا الفنون ــ للعلامة التهانوي،. تحقيق: د. علي دحروج ــ ط: مكتبة لبنان ناشرون ــ بيروت ،الطبعة: الأولى ــ ١٩٩٦م.

١٠٩ــالكليات ــ الإمام أبو البقاء الكفوى ــ. تحقيق: عدنان درويش ــ محمــد المصري ــ ط: مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانيــة ــ ١٤١٩ه ــ ١٩٩٨م

١١٠ــلوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ــ للإمام الرازي، تحقيق، محمد بدر الدين النعسانى،المطبعة الشرقية بمصر،الطبعة الأولى١٣٢٣ه.،

١١١ــمصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ــ للدكتور. عــادل محمد أبو العلاــ ــ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ العــدد١٢٩ ــ السنة ٣٧ ــ ١٤٢٥هــ.

١١٢ــمقدمة ابن خُلدون ــ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خُلدون الحضرميّ الإشبيلي، ط دار القلم بيروت ــ لبنان.الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

١١٣ــالمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ــ الإمام: أبو حامــد محمد بن محمد الغزالي الطوسي تحقق: بسام عبــدالوهاب الجــابي ــ ط: الجفان والجابي – قبرص ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ه ــ١٩٨٧م.

١١٤ــالملل والنحل، للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرســتاني، ط: مؤسسة الحلبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم ــ ط ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة.

١١٥ــمناهج البحث العلمي في القرن العشرين ــ الدكتور محمد علي ســلطان ، مكتبة حسن رزق بالقاهرة ١٩٩٨م.

١١٦ــالمناهج البحثية والمشكلات المعاصرة، لموراي ــ جورج شيفر، ترجمة وفاء صبري، الطبعة الأولى، مؤسسة فرانكلين ١٩٧١م.

١١٧ــالمناهج وطرق التدريس ــ دراسة تصنيفية ــ لإدوارد بونت ــ ترجمة هاني يوسف رزق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، مكتبة فوزي.

١١٨ــالمنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم، ، ط مكتبة الأنجلو،الطبعة الثانية ــ ١٩٧١م.

١١٩ــنظرات في المصطلح والمنهج ــ الدكتور الشاهد البوشيخى ــ ــ ط مطبعة آنفو برانت ــ المغرب ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٢٥ هـــ يونيو ٢٠٠٤م.

١٢٠ــالنهاية في الفتن والملاحم للإمام ابن كثير ـــ تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز ط: دار الجيل، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٢١ــالنهاية في غريب الحديث والأثر ــ للإمام: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري ــ ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ــ محمود محمد الطناحي،ط: المكتبة العلمية ــ بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٢٢ــنور الظلام على شرح منظومة العوام ــ الشيخ محمد نووي الشافعي، للشيخ أحمد المرزوقي ط الحلبي، مصر. الثانية ١٣٥٥هـ ــ١٩٣٦م.

١٢٣ــالوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ــ الدكتور ــ محمد صدقي الغزي ، ــ ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م.

١٢٤ــوفيات الأعيان ــ للإمام ابن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس،ط: دار صادر ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١م .

١٢٥ــاليوم الآخر ــ القيامة الصغرى الدكتور عمر سليمان الأشقر، ط دار النفائس الأردن، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ ــ١٩٩١م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمة: تتضمن:	٢٧٠٣
أولاً : أسباب اختيار الموضوع.	٢٧٠٧
ثانيًا : منهج الدراسة.	٢٧٠٩
ثالثًا : مشكلات الدراسة.	٢٧١٠
رابعًا : مجمل مكونات الدراسة.	٢٧١٣
الفصل الأول: تحديد المفاهـــيم	٢٧١٥
١ــ الغيبيات:	٢٧١٦
أولا: في اللغة.	٢٧١٦
ثانيا: في الاصطلاح.	٢٧١٨
٢ــ السمعيات:	٢٧٢٢
أولا: في اللغة.	٢٧٢٢
ثانيا: في الاصطلاح.	٢٧٢٦
٣ــ النفـــــخ:	٢٧٢٧
أولاً : في اللغة.	٢٧٢٧
ثانيًا : في الاصطلاح.	٢٧٢٨
٤ــ الصـــــور:	٢٧٣٦
أولاً : في اللغة.	٢٧٣٦
ثانيًا : في الاصطلاح	٢٧٣٩
الفصل الثاني: نفخ انتهاء الكون الدنيوي	٢٧٤٣
أولاً : نفخة الاستعداد للهدم.	٢٧٤٤
ثانيًا : نفخة الهدم الكلي.	٢٧٥١
ثالثًا : معالم هدم الأساسيات.	٢٧٥٥

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث: نفخ في الحياة البرزخية	٢٧٦٧
أولاً : نفخة الفزع.	٢٧٦٩
ثانيًا : نفخة الصعق.	٢٧٧٦
ثالثًا: نفخة الاستعداد للخروج.	٢٧٧٨
الفصل الرابع: النفخ للحياة الأخـــــرى	٢٧٨٢
أولاً : نفخة الجمع الإحصائي.	٢٧٨٧
ثانيًا : نفخة السَوْق للحشر.	٢٧٩٢
ثالثًا : نفخة الحشر.	٢٧٩٤
رابعًا : نفخة الحساب.	٢٧٩٩
الخاتمة: وتشمل على:	٢٨٠٩
أولاً : أهم النتائج	٢٨٠٩
ثانيًا : أهم التوصيات.	٢٨١٤
ثالثًا : المقترحات.	٢٨١٧
المصادر	٢٨١٨
فهرس الموضوعات	٢٨٣١